

اتجاهات تحليل ظاهرة الإرهاب تطورها، مدلولها، بواعثها "دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة"

أحمد محمد وهبان^(١)

أستاذ العلوم السياسية المشارك بكلية الحقوق والعلوم السياسية،

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٦/١١/١٤٣٥هـ؛ وقبل للنشر في ١٨/٠٢/١٤٣٦هـ)

ملخص البحث. يستهدف هذا البحث التعريف بأبرز اتجاهات دراسة ظاهرة الإرهاب والتطورات التي طرأت عليها خلال العقود الأربعة المنصرمة، بكل ما يقتضيه ذلك من ضرورة التعريف بجملة الجهود البحثية التي استهدفت تحديد مدلول الإرهاب، والأطراف أو الكيانات التي تمارسه، وأبرز سمات الظاهرة الإرهابية، وأظهر الأهداف التي يستهدفها العمل الإرهابي، وأهم بواعث هذه الظاهرة (أسبابها ودوافعها)، وذلك إلى جانب الوقوف على أبرز التحولات النوعية التي مرت بها الظاهرة الإرهابية عبر تاريخ العالم المعاصر. ويتضمن البحث ثلاثة مباحث نعرض في ثناياها لأبرز اتجاهات تحليل ظاهرة الإرهاب في الأدبيات المعاصرة؛ حيث يتناول المبحث الأول تحليل جذور الظاهرة الإرهابية وتطورها التاريخي، ويركز الثاني على شرح اتجاهات التعريف بالظاهرة الإرهابية، أما المبحث الثالث فينطوي على تحليل لبواعث هذه الظاهرة.

(١) أود أن أشكر كرسي دراسات السلام بكلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الملك سعود علي تمويله هذه الدراسة. كما أود أن أؤكد بأن الآراء الواردة في الدراسة تمثل وجهة نظر الباحث الشخصية، ولا تمثل بأي حال من الأحوال رأي المجلة، أو الكرسي أو كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود.

مقدمة

تمثل ظاهرة العنف واحدة من أبرز ظواهر الحياة الإنسانية قاطبة، فهي ولاشك ظاهرة أصيلة ومتأصلة تضرب بجذورها بعيداً في أعماق التاريخ البشري بحيث تكاد تكون قديمة قدم الإنسان ذاته. وحيث إن الإرهاب يمثل أحد أشكال العنف الإنساني، شأنه في ذلك شأن الحرب والجرائم ذات الدافع الشخصي، كان الاختلاف بائناً بين المشتغلين بعلوم السياسة والاجتماع وفقهاء القانون وسائر المعنيين بالشأن الإرهابي حول مدلول الإرهاب وسمات وبواعث الظاهرة الإرهابية، والحقبة التاريخية التي تؤرخ لبزوغها ومن ثم إيناعها واستشراء مظاهرها واستفحال خطرهما. والحق أن هذا الاختلاف حول مدلول الإرهاب وتاريخه لا يرتد فحسب إلى الخلط بين مفهومي الإرهاب والعنف؛ وإنما قد يعود كذلك إلى اختلاف المشارب الأيديولوجية أو الدينية أو الانتهاآت القومية بين الباحثين؛ أو حتى اختلاف المصالح بين الدول، بل وتباين التوجهات والرؤى السياسية بين الجماعات والتنظيمات الفرعية المشكلة للمجتمع الواحد؛ ولاسيما ذلك الاختلاف القائم في كثير من النظم بين النخبة الحاكمة والفئات المعارضة لها على نحو قد يؤدي إلى نعت كل من الفرقاء للآخرين بالإرهاب.

وتأسيساً على ذلك صار مفهوم الإرهاب مراوفاً يستعصي على المعنيين به الاتفاق حول تعريف موحد بصدده، وبات الباحث في هذا المجال يعاني صعوبات جمة في سعيه إلى الملمة أطراف موضوعه وسبر أغواره بغية التوصل إلى حقائق أو نتائج تحظى ولو بقدر من الاتفاق النسبي مع غيره من المشتغلين بدراسة الظاهرة. لذلك ليس من المستغرب أن ترى من يشكك في مصداقية وقيمة الكثير من الدراسات التي عاجلت الظاهرة الإرهابية بقوله: "لقد استقطبت ظاهرة الإرهاب اهتمام الباحثين في حقول معرفية عديدة حال العلوم السياسية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الجريمة، والتاريخ، وغيرها. وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي قدمتها هذه الحقول وإسهامها في فهم الظاهرة الإرهابية إلا أنها أثارت الكثير من التساؤلات التي ربما تفوق ما قدمته من نتائج. حيث شهد عقد الستينيات غزارة في الأبحاث المتعلقة بالإرهاب وفي السبعينيات تزايد العدد دون أن يحدث تقدم نوعي في المعالجة العلمية، إذ كانت كل الجهود بعيدة عن تحليل الأسباب والجذور العميقة للظاهرة. وعلى الرغم من النمو المطرد في دراسات الإرهاب خلال السنوات الأخيرة؛ فإن حوالي عشرين بالمائة منها فقط اتسمت بالعمق وأخذت بعين الاعتبار معالجة مختلف الجوانب المتعلقة بظاهرة

حيث ستنبص الثانية على التعريف بالصور التقليدية والأنماط المستحدثة للإرهاب.

وتتمحور مشكلة البحث حول تساؤل رئيسي قوامه: ما أبرز اتجاهات دراسة وتحليل ظاهرة الإرهاب؛ وأظهر التطورات التي شهدتها عبر العقود الأربعة الماضية؟ وفي بطن هذا التساؤل نسعى إلى الإجابة عن جملة تساؤلات فرعية يتمثل أبرزها فيما يلي:

ماهي أبرز الجهود البحثية والمؤسسية التي بذلت في إطار التعريف بالإرهاب؟ ، وماهي أبرز سمات الظاهرة الإرهابية؟، وما أظهر الأهداف التي يستهدفها العمل الإرهابي؟، وماهي أبرز بواعث هذه الظاهرة (أسبابها ودوافعها)؟ وماهي أبرز المحطات التاريخية التي مرت بها الظاهرة الإرهابية؟ وما طبيعة وحجم التغيرات التي طالت هذه الظاهرة خلال المراحل التاريخية التي مرت بها؟

وعليه فإن هذا البحث يستهدف الإجابة عن جملة التساؤلات هذه، وبالتالي التعريف بأبرز اتجاهات دراسة ظاهرة الإرهاب والتطورات التي طرأت عليها خلال العقود الأربعة المنصرمة، بكل ما يقتضيه ذلك من ضرورة التعريف بجملة الجهود البحثية التي استهدفت تحديد مدلول الإرهاب، والأطراف أو الكيانات التي تمارسه، وأبرز سمات الظاهرة الإرهابية، وأظهر الأهداف التي يستهدفها

الإرهاب بما في ذلك أسبابها ودوافعها" (Transnational Terrorism, Security & the

Rule of Law, 2008).

على أية حال فإننا بصدد إحدى الظواهر عظيمة الخطورة والأهمية بقدر تجذرها وتأثيرها البالغ في عالم السياسة بشقيه الوطني والدولي، فالإرهاب كما يقول البعض بات يمثل ظاهرة عالمية واسعة الانتشار، وقد امتدت لتشمل العديد من الدول برغم اختلاف البيئات السياسية فيها، سواء تلك التي يسودها مناخ من الديمقراطية والتسامح أو تلك التي تسيطر عليها حكومات تعتمد على ممارسة القمع في مواجهة الرأي المعارض. وهذا الانتشار له انعكاساته الهامة من حيث تزايد حجم الظاهرة الإرهابية وتساعد تأثيراتها الدولية على هذا النحو المخيف (مقلد، ٢٠٠٤). وإلى جانب الآثار الدولية للإرهاب عابر الحدود أو الإرهاب الدولي؛ أضحت الهجمات الإرهابية بشتى صورها تستتبع آثاراً دولية، وتجذب اهتمام المنظمات الدولية بكافة أنواعها من عالمية وإقليمية؛ حكومية وغير حكومية، كما أضحت ظاهرة الإرهاب في بؤرة اهتمامات وهواجس الرأي العام العالمي.

وتأسيساً على ما تقدم؛ تأتي دراستنا هذه (الأولى) ضمن دراستين تعالجان الظاهرة الإرهابية

التاريخية التي مثلت نقلات نوعية في طبيعة وحجم وآليات وآثار الإرهاب. وتتعين الإشارة بداية إلى أن الكثير من الدراسات ترد جذور الظاهرة الإرهابية إلى الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، وما أعقبها من حملات قمع لأنصار الملكية بل ولبعض زعماء الثورة والتنكيل بهم باعتبارهم "أعداء الثورة". وعلى سبيل المثال يعبر ميتيوستز Matusitz عما تقدم بقوله: "ظهرت كلمة الإرهاب مواكبة للثورة الفرنسية حيث ما عرف بعهد الإرهاب (١٧٩٣ - ١٧٩٤)". وهي الفترة التي شهدت عمليات عنف واسعة النطاق من قبل الحكومة الثورية الفرنسية، و قتل خلالها ما بين ستة عشر وأربعين ألفاً من الفرنسيين في مدة وجيزة لا تتجاوز كثيراً العام الواحد؛ على نحو حدا بالجمعية الوطنية الفرنسية في سبتمبر ١٧٩٣ إلى القول بأن "الإرهاب هو ما يسود اليوم". وقد ارتبط هذا النظام السلطوي القمعي باسم ماكسيميليان روبسبير Maximilien Robespierre؛ الزعيم البارز وقتذاك في الثورة الفرنسية والذي كان يرى بأن "الإرهاب Terror ليس إلا العدالة الناجزة الصارمة العنيفة" (Matusitz, 2013).

ويحلول منتصف القرن التاسع عشر وتحديداً بعد عام ١٨٤٨ استخدمت لفظة الإرهاب لاسيما في روسيا وأوروبا كوصف للأعمال المعارضة للحكام

العمل الإرهابي، وأهم بواعث هذه الظاهرة (أسبابها ودوافعها)، وذلك إلى جانب الوقوف على أبرز التحولات النوعية التي مرت بها الظاهرة الإرهابية عبر تاريخ العالم المعاصر. على أنه يتعين التنويه إلى أننا سنركز هنا إلى حد كبير على ما ورد في بطون المراجع الأجنبية ذات الصلة بموضوع البحث؛ على اعتبار أن المراجع العربية متاحة بدهاءة للباحثين والقراء العرب.

ويتضمن هذا البحث ثلاثة مباحث وخاتمة، أما المبحثان فنعالج فيهما جوانب الظاهرة الإرهابية المختلفة على النحو التالي:

المبحث الأول: جذور الظاهرة الإرهابية وتطورها التاريخي في الأدبيات المعاصرة.

المبحث الثاني: اتجاهات التعريف بالظاهرة الإرهابية في الأدبيات المعاصرة.

المبحث الثالث: بواعث الظاهرة الإرهابية في الأدبيات المعاصرة.

وأما الخاتمة فتتضمن أبرز ما خلصنا إليه من نتائج تتعلق بهدف البحث.

المبحث الأول: جذور الظاهرة الإرهابية

وتطورها التاريخي في الأدبيات المعاصرة

تعددت إلى حد كبير الدراسات التي عنت بتاريخ الظاهرة الإرهابية وتحليل وتصنيف الحقب

كان يصف نفسه بالإرهابي وأسهم في إيضاح الجوهر الحديث للإرهاب من خلال كتاباته "نصائح للإرهابيين" (Hubac, 2013) Matusitz, 2007)).

إذن فقد ارتبط الإرهاب في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بالحركات الراديكالية من فوضوية واشتراكية ومن ثم قومية. ويعبر عن ذلك أوبرشول Oberschall بقوله إن الإرهاب ليس ظاهرة حديثة ولا غير مألوفة، ففي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين استخدمه الثوار الروس في مواجهة أعضاء الحكومة القيصرية الاستبدادية، كما استخدمه القوميون الراديكاليون الإيرلنديون والصرب والأرمن مراراً وتكراراً، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ارتبط الإرهاب غالباً بالأقليات القومية والعرقية، كما ارتبط الإرهاب لفترات طويلة بالصراعات الدينية والطبقية، وكذلك بأيديولوجيات وقضايا العدالة الاجتماعية (Oberschall, 2004).

ويطلق البعض وصف العصر الذهبي للإرهاب على فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أو العقود القليلة السابقة على الحرب العالمية الأولى، حيث شهدت تلك الفترة صعود العديد من الحركات الإرهابية حال الشعبوية في روسيا، والحركات الفوضوية في كل من إيطاليا،

المستبددين وقتذاك. لقد كان الإرهاب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر موجهاً إلى الأمراء والقيصرة ورؤساء الشرطة. ولقد كانت الممارسات الإرهابية تهدف إلى إحداث التغيير السياسي، كما كانت أيضاً تمارس في إطار أعمال العقاب والانتقام؛ باختصار كان الإرهاب يعني الاغتيال السياسي وقتل المستبدين. وخلال تلك الحقبة من تاريخ أوروبا، كما تقول جيني تيكمان Jenny Teichman، لم يكن الإرهاب يعني إشاعة الخوف، كما كان القائم به يشعر بالفخر جراء نعته بالإرهابي. فنجد الروسي تارنوفسكي Tarnowski أحد أعضاء جماعة نفذت عدة محاولات لاغتيال القيصر ألكسندر الثاني يعتبر أن الثورة الإرهابية أعظم وأنبل من الثورة الشعبية، ذلك بأنه في ظل الثورة الشعبية يموت الأبرياء (كالجنود) بمنأى عن القادة الشريرين، أما الثورة الإرهابية فتوجه ضرباتها مباشرة ضد مرتكبي الشر الحقيقيين (Teichman, 1989). وعليه فإن لفظة الإرهاب لم تكن إذًا كتمثل نعتاً مشيناً لصاحبه، حتى أن مؤسس منظمة إرادة الشعب People's Retribution الراديكالية المناهضة لفكرة الدولة الروسي الشهير في سبعينيات القرن التاسع عشر سيرجي نيتشاييف Sergey Nechayev يتحدث عن نفسه كإرهابي، ونفس الشيء ينطبق على الكاتب الألماني الفوضوي يوهان موست Johann Most حيث

وفرنسا؛ والتي سرعان ما ولدت نظريات لها في البلقان، والهند، وأرمينيا، وأماكن أخرى. إنها الفترة التي شهدت تغيرات سياسية واقتصادية عميقة تمثلت طغيان الطابع التوسعي على سياسات بعض القوى الكبرى حال إنجلترا وفرنسا وروسيا، وهي السياسات التي وصفها لينين بالإمبريالية، كما تراجعت إمبراطوريات كبرى حال النمسا والدولة العثمانية. وعلى الصعيد الاقتصادي كانت تلك الفترة بحق زمن الثورة الصناعية والتوسع الهائل للرأسمالية. وقد تمثل أخطر الأحداث الإرهابية خلال تلك الحقبة في اغتيال ولي عهد الإمبراطورية النمساوية المجرية الأرشيذوق فرديناند فرانز وزوجته أثناء زيارتهما للعاصمة البوسنية سرايفو، وهو العمل الذي قام به أحد القوميين البوسنيين المنتمين إلى جمعية اليد السوداء Crna Ruka الصربية؛ التي كانت تهدف إلى إقامة دولة تجمع السلاف الجنوبيين (اليوجو سلاف)، واعتبر هذا الحادث بمثابة اغتيال القرن العشرين Assassination of the Twentieth Century ، لأنه كان المفجر للحرب العالمية الأولى في صيف عام ١٩١٤ (Chaliand, 2007).

وتوجز مارثا كرينشو Martha Crenshaw تاريخ الظاهرة الإرهابية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر وحتى سبعينيات القرن العشرين بقولها: إن الإرهاب هو أحد إفرازات البيئة السياسية العلمانية

الحديثة، وهو يرتبط بصفة أساسية بصعود الاتجاهات القومية والفوضوية والاشتراكية الثورية. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك منظمة نارودنaya فوليا (إرادة الشعب) Narodnaya Volya ، ومنظمة كفاح الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا (١٨٧٨: ١٩١٣)، وحركات الإرهاب الفوضوي في أوروبا وخصوصاً فرنسا خلال تسعينيات القرن التاسع عشر، والجيش الجمهوري الأيرلندي والحركات السابقة عليه واللاحقة له في أيرلندا منذ عام ١٩١٩ وحتى الآن، وحركة إرغون تسفائي لثومي (المنظمة العسكرية القومية الصهيونية) Irgun Zvai Leumi في فلسطين تحت الانتداب (١٩٣٧: ١٩٤٧)، وجبهة التحرير الوطني في الجزائر (١٩٥٤: ١٩٦٢)، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ عام ١٩٦٨ وحتى الآن، وحركة ٢ يونيو الفرنسية، وفصيل الجيش الأحمر في ألمانيا الغربية منذ عام ١٩٦٨، و منظمة توباماروس أوروغواي (١٩٧٤: ١٩٦٨). وتضيف كرينشو أن الإرهاب كواقع تاريخي لم يكن لصيقاً بأنظمة سياسية دون غيرها، لقد كان تيد روبرت جور Ted Robert Gurr يرى أن شرعية النظم من شأنها تقليل معدلات أعمال العنف التي تستخدم في مواجهتها وأن البلدان المتقدمة هي أقل عنفاً من البلدان النامية، غير أن الدراسات أكدت أن أوروبا الغربية تشهد معدلات عالية جداً للعنف، كما

أن الولايات المتحدة احتلت المرتبة الأولى بين ٨٧ دولة ضمن أكثر الدول معاناة من الأعمال الإرهابية خلال الفترة ١٩٦١ : ١٩٧٠ (Crenshaw, 1981).

ويميز جانور Ganor بين ثلاث مراحل نوعية في تاريخ الظاهرة الإرهابية وهي مرحلة الإرهاب الكلاسيكي Terrorism Classical ، ومرحلة الإرهاب الحديث Modern Terrorism ، ومرحلة الإرهاب ما بعد الحديث Postmodern Terrorism . حيث يرى أن الإرهاب الكلاسيكي كان ذا تكتيكات مباشرة، ومحدود الأضرار، ويستهدف أشخاصاً محددين، أو مرافق قليلة الأهمية، باستخدام وسائل بسيطة (كعمليات الاغتيال مثلاً)؛ وذلك من أجل تحقيق أهداف سياسية محدودة. أما الإرهاب الحديث فهو يستخدم تكتيكات غير مباشرة، وهجمات أكثر عشوائية، ويحدث دماراً واسع النطاق، ويوقع أعداداً كبيرة من الضحايا برغم استخدامه لأسلحة تقليدية. أما إرهاب ما بعد الحداثة فهو يستهدف إحداث تغيير شامل في واقع الصراع مع العدو، وهو قد يستخدم أسلحة الدمار الشامل البيولوجية والكيميائية والإشعاعية والنووية في شن هجمات مدمرة على أهداف شديدة الحيوية وتحمل قيمة رمزية عالية بالنسبة للعدو المستهدف (Matusitz, 2013).

ويتفق كثير من المحللين على أن الانتقال النوعي من الإرهاب القديم إلى الإرهاب الحديث

قد حدث خلال تسعينيات القرن العشرين؛ وتحديدًا بالهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك عام ١٩٩٣، ثم هجوم جماعة أوم شينريكيو الدينية Aum Shinrikyo اليابانية على مترو الأنفاق في طوكيو باستخدام غاز السارين السام عام ١٩٩٥. ويرى أنصار مفهوم الإرهاب الجديد أن أبرز خصائصه هي التعصب الديني المتجسد غالباً في الحركات الإسلامية الراديكالية، في حين أن الإرهاب القديم اتسم بالعلمانية من حيث قياداته وأيديولوجياته. وفي دراسة جور وكول (Gurr and Cole, 2000) أوضح أن من بين ٦٤ منظمة إرهابية تواجدت في الثمانينيات كان ثمة منظمتان دينيتان اثنتان فقط (أي بنسبة ٣٪ من إجمالي المنظمات)، في حين بلغ عدد المنظمات الدينية في عام ١٩٩٥ خمساً وعشرين من بين ثمان وخمسين منظمة (أي بنسبة ٤٣٪ من إجمالي عدد المنظمات)، وبالتالي فقد ارتفع عدد المنظمات ذات الصبغة الدينية بنسبة ٤٠٪ خلال خمس عشرة سنة فقط (Matusitz, 2013).

ويرى ماتيوسيتز Matusitz أن ثمة أربع موجات تاريخية رئيسية للإرهاب، حيث كانت الموجة الأولى في الفترة منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين، ثم بدأت الموجة الثانية منذ عام ١٩٢١ والتي ارتبطت بالحقبة الاستعمارية وكانت أعمالها محصورة في الحدود

الإقليمية للدول. أما الموجة الثالثة وهو الحديثة فتبدأ مع بداية عقد الستينيات. وأما الموجة الرابعة وهي الأخطر والتي يشهدها العالم حالياً فقد بدأت مع أحداث ١١ سبتمبر وهي موجة تتسم باستخدام التبرير الديني للقتل، كما تتميز بالانتشار الواسع عبر العالم، واستخدام أسلحة أكثر تقدماً وتدميراً، بالإضافة إلى مواكبة تقنيات العصر المتقدمة فيما يتعلق بعمليات الاتصال والتواصل والانتقال بسهولة عبر الحدود الجغرافية، وذلك إلى جانب تيسر الحصول على الموارد المالية، وإمكانية امتلاك أسلحة الدمار الشامل (Matusitz, 2013).

ويسرد ماتيوستز Matusitz بعض الإحصاءات الهامة عن تصاعد الأعمال الإرهابية منذ السبعينيات وحتى ما بعد أحداث ١١ سبتمبر؛ مستعيناً ببعض الدراسات في هذا الصدد لينتهي إلى القول بأنه مع بداية عقد السبعينيات راحت أخبار الإرهاب تحتل من جديد عناوين الصحف، ثم بلغ الأمر ذروته مع انتصاف عقد الثمانينيات، حيث ارتفع متوسط عدد الأعمال الإرهابية المعلنة من عشرة أعمال في الأسبوع إلى ذات العدد في اليوم الواحد. وفي عام ١٩٨٥ لاحظ جينكنز Jenkins أن ٦٠٪ من الأعمال الإرهابية التي حدثت في العالم استهدفت نحو ١٠٪ من الدول. وفي دراستها عام ٢٠٠٤ قام لي وشواب Li and Schaub بفحص الأحداث الإرهابية الدولية

التي وقعت داخل ١٢٢ دولة خلال الفترة ١٩٧٥: ١٩٩٧ حيث اكتشفا أن منطقة الشرق الأوسط شهدت النسبة الأعلى من أعمال الإرهاب تليها أوروبا، ثم أفريقيا، وآسيا، وأمريكا. كما لاحظ أن مسلمي الشتات وتحديدًا الجيل الثاني والثالث من المسلمين المهاجرين كانوا من وراء أكثر من ٨٠٪ من الحوادث الإرهابية التي وقعت في الولايات المتحدة وأوروبا. وفي ١١ سبتمبر ٢٠٠١ شهدت الولايات المتحدة أسوأ حادث إرهابي في تاريخها نفذته تنظيم القاعدة، حيث قتل في ذلك اليوم عدد يفوق العدد الذي قتله الجيش الجمهوري الإيرلندي خلال خمسة وثلاثين عاماً. وأعقب ذلك إعلان الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش الحرب العالمية على الإرهاب والتي مثلت الحملة الأكثر شمولاً لمكافحة الإرهاب عبر التاريخ، واعتبرت الحدث الأعظم أهمية منذ سقوط حائط برلين. ومنذ ذلك التاريخ تزايدت أعداد الهجمات الإرهابية عبر العالم بشكل كبير، وعلى سبيل المثال فقد ارتفع عدد هذه الهجمات من ١٧٣٢ عام ٢٠٠١ إلى ٤٩٩٥ في عام ٢٠٠٥ ثم إلى ٦٦٥٩ في العام الذي يليه (Matusitz, 2013).

وفي دراسة أخرى هامة يرى تشيلند وبلين Chaliand and Blin أن لظاهرة الإرهاب المعاصر أربع محطات تاريخية تمثل علامات فارقة ونقاط تحول لهذه الظاهرة. وتتمثل هذه المحطات في أعوام

في بيروت خلال ذلك العام لاسيما تلك التي أسفرت عن مصرع ٢٤١ من مشاة البحرية الأمريكية، و ٥٣ من المظليين الفرنسيين، والتي أحدثت آثاراً نفسية عميقة في الغرب وأدت إلى انسحاب القوات الغربية من لبنان، واعتبرت أكبر انتصار للإرهاب الدولي خلال الفترة (١٩٦٨: ٢٠٠٠) (Chaliand & Blin, 2007). في حين تمثلت نقطة التحول الرابعة في تاريخ الإرهاب المعاصر بطبيعة الحال في هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، والتي شكلت بحق ذروة التقدم في الإرهاب الكلاسيكي. وقد أعقب هذه الهجمات إطلاق أضخم حملة لمكافحة الإرهاب في التاريخ، والتي تم تدشينها بحرب الولايات المتحدة وحلفائها على أفغانستان باعتبارها ملاذاً للإرهابيين. وأعقب ذلك شروع إدارة بوش الابن في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ معتبراً أن الوقت قد حان لاستكمال حرب لم تنته هناك، واستباقاً لهجمات إرهابية جديدة قد تضرب الولايات المتحدة متسلحة هذه المرة بأسلحة الدمار الشامل التي كان يفترض أن العراق يمتلكها (Chaliand & Blin, 2007).

على صعيد آخر يركز جينكنز Jenkins ومحررو الموسوعة البريطانية على النقلة النوعية التي شهدتها الأعمال الإرهابية خلال عقد التسعينيات ولاسيما في مواجهة الولايات المتحدة التي ضربت عدة مرات في

١٩٦٨ و ١٩٧٩ و ١٩٨٣ و ٢٠٠١. وهما يتمثلان المحطة الأولى (١٩٦٨) في تدشين إستراتيجية حرب العصابات في المدن Urban Guerrilla Strategy من قبل مسلحي أمريكا اللاتينية، كذلك لجوء بعض المنظمات الفلسطينية إلى تكتيك الإرهاب بغرض الدعاية، والذي تحول فيما بعد إلى أعمال عنف خطيرة. وأما المحطة الثانية (١٩٧٩) فتتمثل في نجاح الثورة الإيرانية والذي أشر لبداية عصر الراديكالية الإسلامية الشيعية، والتي كانت لها آثارها المباشرة متمثلة في ظهور حزب الله في لبنان، وغير المباشرة متمثلة في تسهيل ومباركة عمليات التفجير الانتحاري المستندة إلى فكرة تمجيد الشهداء التقليدية. كما كانت الثورة الإسلامية من ناحية أخرى مصدر إلهام للحركات الإسلامية السنية المتطرفة-حسب هذا التصور- حال كل من حركة حماس وتنظيم القاعدة وغيرهما. وقد استغلت الولايات المتحدة هذا الصعود للحركات الراديكالية الإسلامية إبان الغزو السوفيتي لأفغانستان، إذ دعمت حركات المجاهدين في إلحاق هزيمة بالسوفييت من شاكلة هزيمة الأمريكيين في فيتنام (Chaliand & Blin, 2007).

أما المحطة التاريخية المحورية الثالثة في تاريخ الإرهاب المعاصر (١٩٨٣) -حسب هذه الدراسة- فتجسدها الهجمات الانتحارية التي شنها حزب الله

عقر دارها، على نحو ما حدث عام ١٩٩٣ حين تم تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك، ثم تفجير أوكلاهوما سيتي الذي أسفر عن مصرع ١٦٨ شخصاً عام ١٩٩٥، وذلك إلى جانب الضربات التي تلقتها المنشآت والمصالح الأمريكية في الخارج حال الهجوم على القواعد العسكرية الأمريكية في السعودية عام ١٩٩٦، وتفجير السفارتين الأمريكيتين في كل من تنزانيا وكنيا في توقيت واحد عام ١٩٩٨، والتفجير الانتحاري الذي استهدف المدمرة الأمريكية يو إس إس كول في ميناء عدن اليمني عام ٢٠٠٠؛ والذي أسفر عن مصرع ١٧ بحاراً من بحارتها. وذلك كله قبل اللطمة الكبرى التي تلقاها الأمريكيون في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (Jenkins(ed.), 2013).

كما يشير هذا الفريق إلى نقلة نوعية أخرى تتعلق بالتطور اللافت في أسلحة التنظيمات الإرهابية منذ عقد التسعينيات، إذ يؤكد على كون الإرهاب يمثل سمة دائمة من سمات الحياة السياسية، فحتى قبل أحداث ١١ سبتمبر كانت هناك مخاوف متصاعدة من تعاظم قوة التنظيمات الإرهابية مع تزايد احتمالات امتلاكها لأسلحة دمار شامل من نووية وبيولوجية وكيميائية، وهي المخاوف التي أصبحت مبررة تماماً بعد استخدام جماعة أوم شينريكيو الدينية اليابانية لغاز السارين السام في

الهجوم على مترو طوكيو عام ١٩٩٥، ثم تكثفت المخاوف أكثر بعد تسلم العديد من الساسة والإعلاميين الأمريكيين لرسائل ملوثة بالجمرة الخبيثة على نحو أدى إلى بعض حالات الوفاة. (Jenkins(ed.), 2013) وتتعين الإشارة هنا إلى المخاوف المتنامية - منذ عقود عديدة - من وقوع أسلحة الدمار الشامل في أيدي التنظيمات الإرهابية، ففي جلسة استماع لمجلس الشيوخ عام ١٩٧٥ قال مسئول وزارة الخارجية: "إن التهديد المتزايد هو من وقوع الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية في أيدي إرهابيين مستعدين للموت من أجل قضيتهم" (Oberschall, 2004).

هذا وقد استأثرت الحركات الراديكالية الإسلامية بنصيب وافر في دراسات تأصيل الظاهرة الإرهابية، ويأتي في مقدمة هذه الحركات بطبيعة الحال تنظيم القاعدة الذي حظي بجانب كبير من دراسات الإرهاب لاسيما بعد أحداث ١١ سبتمبر. ويعتبر أوبرشول Oberschall أن الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ هي المسؤولة عن ظهور ودعم الحركات والجماعات الإسلامية الراديكالية في العالم الإسلامي عموماً والدول الشيعية على وجه الخصوص. وقد وصف قائد الثورة آية الله خميني الولايات المتحدة بالشیطان الأكبر، واعتبرها المسؤولة عن كل مشكلات البلدان الإسلامية من تخلف، وفقر،

وتراجع عسكري، وتبديد للثروات النفطية، وتبعية للغرب، وهزيمة مهينة أمام إسرائيل التي هي أيضاً صنيعة غربية، وبالتالي فقد أعلن الجهاد في مواجهة الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل بل وبعض الدول العربية النفطية التي اعتبرها عميلة للغرب. وحسب هذا التصور الذي تبنته أيضاً الحركات الإسلامية الراديكالية فإن إقامة المشروع الإسلامي الأصولي هو البديل الأفضل بعد فشل المشروع القومي الناصري في مصر، والمشروع الاشتراكي البعثي في سوريا والعراق، والمشروع العلماني في تركيا (Oberschall, 2004).

ثم يعرض أوبرشول لجذور تنظيم القاعدة باعتباره التنظيم الراديكالي الإسلامي الأكثر بروزاً والأمضى تأثيراً في الواقع الدولي، موضحاً أن أولى موجات جهاد أسامة بن لادن كانت ضد القوات السوفيتية والحكومة العميلة للشيوعية في أفغانستان خلال الثمانينيات، حيث قام بإنشاء مراكز لتدريب المجاهدين على الأراضي الباكستانية، واستقبل المتطوعين من الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وآسيا، وتم تدريبهم من قبل ضباط باكستانيين وأمريكيين، وبدعم مالي من قبل بعض الدول العربية النفطية. كما كانت الولايات المتحدة الداعم الأكبر لهم فيما يتعلق بالتسليح في حرب العصابات طويلة الأمد التي خاضوها في مواجهة السوفييت

والشيوعيين الأفغان الموالين لهم. وكان هؤلاء المجاهدون هم النواة التي شكل منها أسامة بن لادن تنظيم القاعدة منذ التسعينيات؛ الذي شرع خلاله في هيكلة جديدة للتنظيم وضم إليه عناصر أمريكية وأوربية من المسلمين المهاجرين والمقيمين والدارسين، وبالتالي فقد أخذ التنظيم في الانتشار داخل الدول الغربية متخفياً وراء بعض الأنشطة المتعلقة بالمساجد والمدارس الدينية والجمعيات الاجتماعية، واستفاد في ذلك من التساهل والتراخي القائم داخل الدول الغربية آنذاك فيما يتصل بإجراءات السفر، وتأثيرات الدخول، وشروط القبول الدراسي، والأوراق الثبوتية، فضلاً عن القيود الدستورية والقانونية التي كانت هذه الدول تضعها على انتهاك الحريات الخاصة للأفراد على نحو يسر للتنظيم إخفاء أنشطته غير المشروعة، بعيداً عن الرقابة الرخوة للنظم الغربية التي كانت لاتزال متمسكة بتقديس حرمة الحقوق والحريات الخاصة للأفراد (Oberschall, 2004). ثم كان انقلاب أسامة بن لادن الكبير على حلفائه الأمريكيين، حسب هذه الدراسة، عقب عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ التي دمرت الجيش العراقي وأعادت للكويت استقلالها، وما أعقب ذلك من تمرکز مئات الآلاف من العسكريين الأمريكيين في المنطقة، الأمر الذي أثار عداوة بن لادن لا لأمريكا فحسب بل ولعديد

من حكام المنطقة الذين اعتبرهم أذئاب الولايات المتحدة والغرب الصليبي. وبحلول عام ١٩٩٨ أسس أسامة بن لادن ما يعرف بالجهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين والتي حدد هدفها في تحرير سائر مقدسات المسلمين، وفي مقدمتها المسجد الأقصى، من اليهود والصليبيين، والتخلص من الحكومات العميلة لهم في الدول الإسلامية بالمنطقة (Oberschall, 2004).

ومهما يكن من أمر كل ما تقدم فإن المحطة الأبرز على الإطلاق والتي، بالتالي، حظيت بالنصيب الأوفر من دراسات الإرهاب تمثلت في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وما ترتب عليها من آثار طالت بنية النسق الدولي القائم. لقد مثلت هذه الأحداث بحق نقطة تحول فارقة في تاريخ الظاهرة الإرهابية، حيث طالت الضربة هذه المرة قلب القوة القطبية الوحيدة في العالم، وصاحبة جهاز الاستخبارات الأضخم والأكثر تعقيداً في التاريخ الإنساني المعلوم. وبالتالي فقد برهنت عملية الحادي عشر من سبتمبر، كما يقول إسماعيل صبري مقلد، على ما أصبح للإرهاب الدولي من قدرة هائلة على الضرب والتدمير وعلى امتلاكه لتكنولوجيا متفوقة بصورة تبعث على الدهشة، وكذلك اعتماده في مهام الرصد والتنفيذ على أطقم فنية على أعلى مستوى من المهارة والتدريب. لقد أصبح الإرهاب شكلاً رئيسياً

ومخيفاً من أشكال الصراع المسلح بل وربما جاز القول أنه أصبح بديلاً للحروب التقليدية في كثير من الحالات (مقلد، ٢٠٠٤). ثم إن الهجمات على مركز التجارة العالمي والبنيتاجون، كما يقول أوبرشول، والتي برغم كونها إرهاباً عابراً للحدود وأوقعت عدداً هائلاً من الضحايا المدنيين؛ لم تكن تقف وراءها دولة راعية، كما أنها ضربت قلب الولايات المتحدة وليس دولة شرق أوسطية، كذلك فإنها نفذت بواسطة إرهابيين لم يتدربوا في صحارى الشرق الأوسط وإنما عاشوا وتلقوا تدريباتهم في جنوب فلوريدا ونيو جيرسي والدول الأوروبية (Oberschall, 2004).

وعلى ذلك فإذا كان الاهتمام بدراسات الإرهاب كبيراً قبل أحداث ١١ سبتمبر، كما يقول أستاذ العلوم السياسية الهندي فينايك Vanaik، فإن حقبة ما بعد هذه الأحداث وما سببته من صدمة هائلة في أوساط الرأي العام العالمي قد استتبعث ثورة حقيقية في الدراسات الاجتماعية والسياسية المتعلقة بحقل الإرهاب. (Vanaik, 2002) وإذن فالثورة في دراسات الإرهاب لم تقتصر على الدراسات السياسية وإنما امتدت إلى سائر العلوم الاجتماعية، وتعبّر عن ذلك، على سبيل المثال، أستاذ علم النفس روبرتا دي لاروش De La Roche بقولها: "إن الهجمات الإرهابية المباشرة في ١١ سبتمبر

الكبير في دراسات الإرهاب عقب أحداث ١١ سبتمبر والذي أسهمت فيه مراكز بحوث الإرهاب القديمة والجديدة، و مخازن التفكير Think Tanks، وبرامج الدراسات العليا والدكتوراه بالجامعات، وبرامج الأبحاث الخاصة، ونظيرتها الممولة من قبل الحكومات، والجمعيات والاتحادات البحثية المعنية بدراسة الإرهاب، والندوات والمؤتمرات العلمية، وقواعد البيانات العلمية، وغير ذلك من الأنشطة العلمية عظيمة الأهمية (Jackson, 2012).

وأما على صعيد الواقع الدولي فيمكن القول إن أحداث ١١ سبتمبر أكدت لفكرة النظام العالمي الجديد باعتباره نسقاً يدار غائياً من قبل قطب أو وحد وعلى هدى من توجهاته وتصورات ومصالحه. وقد عبر عن ذلك هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق بالقول: "إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر شكلت نقطة تحول بارزة في صياغة النظام الدولي للقرن الحادي والعشرين، حيث أدت بصورة واضحة إلى تعزيز المكانة العالمية للولايات المتحدة، ودفعت القوى المنافسة لها كأوروبا الموحدة واليابان وروسيا الاتحادية والصين والهند إلى التعاون بصورة وثيقة معها، وهو أمر لم يكن وارداً قبل حدوث تلك الهجمات. كما أن الدول الكبرى لم تعد تنظر إلى بعضها البعض باعتبارها مصدر تهديد إستراتيجي لأمنها، وإنما أصبحت ترى أن الخطر

٢٠٠١ على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاجون في العاصمة واشنطن لم يكن من شأنها إشعال الولايات المتحدة فحسب؛ وإنما أشعلت كذلك حقل علم النفس فيما يتعلق بدراسات الإرهاب، حيث كانت الدراسات النفسية في هذا الصدد محدودة جداً. ولم يكن علم النفس يقدم إلا القليل لتفسير طبيعة وأسباب ذلك العنف المنظم الذي يمارسه مدنيون في مواجهة مدنيين آخرين. في حين كان المتخصصون في العلاقات الدولية والعلوم السياسية يسيطرون على حقل دراسات الإرهاب؛ ولنا أن نلاحظ الكم الهائل من المناقشات العلمية التي انغمسوا فيها عقب هجمات سبتمبر" (De LA Roche, 2004).

كذلك فقد ذكرت دراسة أجريت عام ٢٠٠٦، حسب جاكسون Jackson، أن عدد المقالات العلمية المتعلقة بالإرهاب المنشورة خلال الفترة (١٩٧١: ٢٠٠٢) قد بلغ ١٤٠٠٦ مقالاً، وأن نسبة ٥٤٪ من جملة هذه المقالات قد تم نشرها خلال عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ وحدهما. وذكرت دراسة أخرى أن عدد الكتب التي تحوي لفظة إرهاب في عنوانها الرئيسي المنشورة خلال الفترة (سبتمبر ٢٠٠١ إلى يونيو ٢٠٠٨) قد بلغ ٢٢٨١ كتاباً، في حين أن عدد الكتب المناظرة المنشورة قبل عام ٢٠٠١ كان فحسب ١٣١٠ كتب. إنه الانفجار

الذي يدهمها جميعاً لا يأتي عبر الحدود، وإنما من الخلايا الإرهابية المزروعة داخل بلادهم" (مقلد، ٢٠٠٤).

كذلك يرى تشيلند وبلين أن الولايات المتحدة استغلت الحرب على الإرهاب للصيد في الماء العكر، حيث سعت إلى تحقيق أهداف خفية تختلف عن أهدافها المعلنة؛ ووقعت في تناقضات جراء ذلك منها على سبيل المثال خوضها حرباً ضد نظام صدام حسين بذريعة علاقته بتنظيم القاعدة برغم عدم وجود أية أدلة حقيقية على ذلك، في حين أنها احتفظت بعلاقات وطيدة مع الباكستان وبعض الدول الخليجية واعتبرتها حلفاء لها برغم وجود قرائن على دعم هذه الدول للإرهاب الدولي. ثم إن التهديد الذي يشكله الإرهاب الدولي والذي صممت استراتيجية كبرى لمكافحته لا يمكن مقارنته أبداً بالتهديد الذي كان يشكله الاتحاد السوفييتي، والذي تعايش معه الولايات المتحدة ولم تدشن استراتيجية عالمية لمواجهة (Blin, 2007).

على صعيد آخر فقد فتحت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كما يقول مقلد، الباب من جديد حول بعض القضايا الجدلية الشائكة التي تفجر الحوار الدولي حولها منذ ظهور النظام العالمي الجديد في بداية التسعينيات، ولعل أخطرهما جميعاً قضية صراع الحضارات والتي تمحورت حول اعتبار

الإسلام والحضارة الإسلامية البؤرة الرئيسية للعنف والتطرف والإرهاب في العالم، وأن الإسلام أصبح يشكل خطراً ساحقاً على الحضارة الغربية بل وعلى مستقبل الحضارة الإنسانية كلها. وقد استندت هذه الدعاوى على أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي اتهم تنظيم القاعدة بتنفيذها، وبرغم عدم وجود أية أدلة موثوقة فيها على صحة هذه الاتهامات والمزاعم فإن ترديدها فجر موجة لامثيل لها من الكراهية والتحامل على الحضارتين العربية والإسلامية، والتي امتدت من الولايات المتحدة إلى كل المجتمعات الغربية دون استثناء (مقلد، ٢٠٠٤).

يشار كذلك إلى أن أحداث ١١ سبتمبر استدعت، إلى جانب جهود الدول ولاسيما الولايات المتحدة وحليفاتها، جهوداً أعمى فورية وحثيثة في إطار مكافحة الإرهاب، فإلى جانب منح الشرعية لحروب مكافحة الإرهاب وفي مقدمتها الحرب على أفغانستان ٢٠٠١؛ اتخذت الأمم المتحدة تدابير عديدة في هذا السياق، ولعل أحد أهم هذه التدابير وأسرعها استجابة لزلزال سبتمبر تمثل في إنشاء لجنة مكافحة الإرهاب؛ والتي أنشئت بموجب قرار مجلس الأمن ١٣٧٣ (٢٠٠١) الذي تم اتخاذه بالإجماع في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١، أي في ذات الشهر الذي شهد الهجمات المباشرة. وهو القرار الذي طلب إلى دول العالم تنفيذ عدد من التدابير الرامية إلى تعزيز

على أية حال فإن كافة الإجراءات والتدابير التي اتخذتها الدول، لاسيما الكبرى منها، كما الجهود الأمتية؛ لم تفلح في وقف مسيرة الظاهرة الإرهابية عبر شتى أصقاع العالم المعاصر. حيث استمرت وتيرة الأعمال الإرهابية في التصاعد خلال الفترة التالية لأحداث سبتمبر الجسام. ونشير في هذا الصدد إلى إحدى الدراسات الهامة التي تناولت بالتحليل الإحصائي ظاهرة الإرهاب في دول العالم خلال الفترة (٢٠٠٢: ٢٠١١)، أي العقد الذي أعقب أحداث سبتمبر. وتتمثل هذه الدراسة في تقرير مؤشر الإرهابي العالمي Global Terrorism Index (2012). ولقد انتهى التقرير (The Global Terrorism Index, 2012) إلى جملة من النتائج الهامة لعل من أبرزها:

١- أن عدد الحوادث الإرهابية والهجمات الناجحة كان في تزايد مطرد خلال سنوات العقد المذكورة.

٢- من بين ١٥٨ دولة تم رصدتها؛ فقط عشرون دولة لم تشهد أي هجوم إرهابي خلال الفترة المذكورة.

٣- معظم الهجمات الإرهابية حدثت في سياق مواقف صراعية أكثر اتساعاً.

٤- تركزت الهجمات الإرهابية بشدة على عدد محدود من الدول، فعلى سبيل المثال نجد أن

قدرتها القانونية والمؤسسية على التصدي للأنشطة الإرهابية داخل البلدان وفي مناطقها وحول العالم، ومن بينها اتخاذ خطوات من أجل: ^(٢)

- ١- تجريم تمويل الإرهاب
- ٢- القيام بدون تأخير بتجميد أي أموال لأشخاص يشاركون في أعمال الإرهاب.
- ٣- منع الجماعات الإرهابية من الحصول على أي شكل من أشكال الدعم المالي.
- ٤- عدم توفير الملاذ الآمن، أو الدعم أو المساندة للإرهابيين.

٥- تبادل المعلومات مع الحكومات الأخرى عن أية جماعات تمارس أعمالاً إرهابية أو تخطط لها.

٦- التعاون مع الحكومات الأخرى في التحقيق في مثل تلك الأعمال، واكتشافها، واعتقال المشتريين فيها وتسليمهم وتقديمهم للعدالة.

٧- تجريم مساعدة الإرهابيين مساعدة فعلية أو سلبية في القوانين المحلية وتقديم مخالفيها للعدالة.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول اللجنة الأمتية وجهودها في مكافحة الإرهاب، أنظر موقعها على شبكة المعلومات الدولية:

والشرطية، ومنشآت رجال الأعمال. وكان اتجاه هذه الهجمات على كافة هذه الأهداف نحو التزايد كنسبة مئوية منذ عام ٢٠٠٢.

١٠- النسبة الأكبر من الحوادث الإرهابية وما نتج عنها من ضحايا وجرحى وقعت في الدول ذات الدخل المتوسط وليست الدول ذات الدخل الأقل. حيث سجلت هذه الدول نسبة ٦٥٪ من الحوادث الإرهابية، و٦٩٪ من الضحايا، و٧٣٪ من الجرحى في سياق الأعمال الإرهابية المسجلة على مستوى العالم خلال العقد المذكور.

١١- كان سبع من الدول ذات الدخل المتوسط ضمن قائمة العشر الدول الأكثر تأثراً بالأعمال الإرهابية خلال فترة الدراسة.

١٢- النسبة الأكبر من الحوادث الإرهابية وما نتج عنها من ضحايا وجرحى وقعت في الدول ذات النظم السياسية الهجين (نصف الديمقراطية) Hybrid Regimes، حيث سجلت هذه الدول نسبة ٤٦٪ من الحوادث الإرهابية، و٥٤٪ من الضحايا، و٦٠٪ من الجرحى في سياق الأعمال الإرهابية المسجلة على مستوى العالم.

١٣- الدول التي حققت معدلات أفضل على مؤشر الإرهاب العالمي هي الدول التي

٨٧٪ من الحوادث الإرهابية التي وقعت خلال عام ٢٠١١ تركزت في عشر دول؛ شهد كل منها أكثر من مائة حادث إرهابي خلال العام المذكور.

٥- خلال الفترة (٢٠٠٢: ٢٠١١) كان ما يتجاوز ثلث ضحايا الهجمات الإرهابية من العراقيين.

٦- خلال الفترة الممتدة من عام ٢٠٠٢ وحتى نهاية عام ٢٠١١؛ كانت العراق وأفغانستان هدفاً لزهء ٣٥٪ من مجمل عدد الحوادث الإرهابية التي شهدتها العالم.

٧- في حين كان الإرهاب الديني هو الأوسع انتشاراً كانت هناك نسبة لا يستهان بها من الحوادث الإرهابية قامت بها جماعات غير دينية.

٨- فاق عدد الحوادث الإرهابية التي شهدتها دول غرب أوروبا بمراحل نظيره الذي شهد في الولايات المتحدة خلال الفترة (٢٠٠٢: ٢٠١١)، وبلغ عدد القتلى الأوروبيين أكثر من تسعة عشر ضعفاً لعدد القتلى الأمريكيين في الهجمات الإرهابية خلال تلك الفترة.

٩- استهدف الإرهابيون على الأرجح المواطنين العاديين، والممتلكات الخاصة، والحكومية،

وأهدافها ودوافعها وآلياتها. وواكبت ذلك جهود دولية وأكاديمية عديدة استهدفت هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل تارة، وبالبحث عن حلول تضع حد لتداعياتها الدامية تارة أخرى. وعلى الرغم من الجهود المضنية ومئات الدراسات التي قدمت في إطار معالجة الظاهرة وعشرات التعريفات التي قدمت في إطار الوقوف على مدلولها الدقيق؛ فإنه ليس ثمة اتفاق على تعريف واحد للإرهاب سواء على مستوى الحكومات والمنظمات الدولية، أو حتى بين الأكاديميين المهتمين بمعالجتها من شتى فروع المعارف الاجتماعية وفي مقدمتها علم السياسة. ويعبر عن ذلك جينكنز Jenkins بقوله: "على الرغم من أن مصطلح الإرهاب صار بمثابة الصرعة في الأدبيات المعاصرة إلا أنه لا يوجد تعريف واحد محدد ومقبول على نطاق واسع. وغالباً ما يستخدم المصطلح كتعبير عن صور شتى من أعمال العنف التي قد لا تتطابق بدقة مع الأعمال الإرهابية. كما أن هذا المصطلح ينطوي على التحقير فنجد بعض الحكومات تصف أعمال خصومها بالإرهاب، في حين يدعي المتطرفون المناهضون لحكومة ما في كثير من الأحيان أنهم ضحايا لإرهاب هذه الحكومة. إنه إذاً مصطلح يفسح المجال للأحكام الذاتية المنطلقة من التوجهات السياسية، والمقولة الشهيرة "إن الإرهابي بالنسبة لشخص ما هو مقاتل من أجل الحرية بالنسبة لشخص آخر". إننا بحاجة إلى تعريف موضوعي يصير معه الإرهابي بالنسبة لشخص ما

اتسمت بقدر أقل من المظالم الاجتماعية، وقدر أكبر من التكامل المجتمعي وكذا الاستقرار السياسي، وهي كذلك الدول الأكثر التزاماً بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان.

١٤- الدول العشر الأكثر تضرراً من الإرهاب عام ٢٠١١ كانت بالترتيب، العراق، وباكستان، وأفغانستان، والهند، واليمن، والصومال، ونيجيريا، وتايلند، وروسيا والفلبين.

وجملة القول في شأن تاريخ الظاهرة الإرهابية أنها تمثل إحدى الظواهر البارزة والمتأصلة في الواقع الدولي، كانت تلك هي الحال قبل ١١ سبتمبر كما هي الحال في أعقابها. وعلى الرغم من بروز هذه الظاهرة وخطورتها وكل الدراسات التي تناولتها بالتحليل؛ يظل الأمر المثير للدهشة هو أنه ليس ثمة اتفاق حول تعريف واحد مقبول من الكافة للفظ الإرهاب. وفيما يلي نستعرض أبرز الجهود الأكاديمية التي قدمت في التعريف بالظاهرة الإرهابية.

المبحث الثاني: اتجاهات التعريف

بالظاهرة الإرهابية في الأدبيات المعاصرة

مرت الظاهرة الإرهابية، على نحو ما أوضحنا سلفاً، بمراحل تاريخية عديدة شهدت خلالها العديد من التطورات النوعية طالت صورها

الإرهابية والخصائص التي تميزها عن نظيراتها من صور العنف الجماعي (De LA Roche, 2004). وفي ذات السياق تقول مارثا كرينشو Martha Crenshaw: "هناك العديد من الدراسات التي تناولت أعمال العنف الجماعي وعمليات الاغتيال والحروب الأهلية والجريمة، وهي كلها ظاهرياً قد تتشابه مع أعمال الإرهاب لكنها ليست هي بذاتها" (Crenshaw, 1981).

تأسيساً على هذه المقدمة الحتمية ننطلق في استعراض أظهر اتجاهات التعريف بالظاهرة الإرهابية. وتذكر دي لاروش، بادئ ذي بدء، أنه لعقود عديدة كانت تعريفات الإرهاب تدور حول كونه عمليات عنف جماعي تهدف إلى نشر الذعر على نطاق واسع، حيث يرى تيلي Tilly أن الإرهاب يشير إلى عمليات غير نمطية لنشر التهديد والعنف في مواجهة الأعداء باستخدام وسائل تقع خارج نطاق أنماط النضال السياسي المعتاد ممارستها تقليدياً في إطار النظام السياسي القائم. في حين يعرف برجسن و لازاردو Bergesen and Lazardo الأعمال الإرهابية بأنها هي حالات العنف التي تستهدف أهدافاً سياسية أو دينية أو اجتماعية (De LA Roche, 2004).

وتشير الدراسات، حسب ميتوستر Matusitz، إلى وجود أكثر من مائتي تعريف متداول للإرهاب. فعلى سبيل المثال تشير دراسة سيمون

هو إرهابي من وجهة نظر الجميع"؛ تعريف يركز على نوعية الأعمال التي تصنف إرهابية وبغض النظر عن هوية الجناة القائمين عليها، أو طبيعة قضيتهم، وبالتالي فلا بد من اعتبار كافة الأعمال الإرهابية جرائم. (Jenkins, 1982).

وتبرز هذه المقولة إشكاليتين بصدد تعريف الإرهاب تتعلق الأولى بكونه يمثل صورة من صور العنف الإنساني وبالتالي قد يختلط مع الصور الأخرى للعنف. وأما الإشكالية الثانية فتتعلق بنسبية النظر إلى العمل العنيف وبالتالي احتمال تصنيفه كعمل إرهابي من جانب البعض، في حين أن البعض الآخر قد يصنفه كعمل نضالي وبطولي نبيل.

وتقول تيكمان Teichman في هذا الصدد: "إلى جانب أنها لفظة فضفاضة فإن الاستخدام الحالي للفظه إرهاب يتسم بالنسبية إلى حد بعيد، فنفس السلوك العدواني المتعمد يختلف وصفه تماماً من مراقب إلى آخر اعتماداً على أين ومتى وقع هذا السلوك، والموقف الشخصي للمراقب من هذا كله. إنها النسبية التي يمكن اختزالها في الشعار الشهير البائس: "إن الإرهابي بالنسبة إلى شخص ما هو مناضل من أجل الحرية بالنسبة إلى شخص آخر" (Teichman, 1989).

وترى دي لاروش De LA Roche أن أية محاولة للتنبؤ تستلزم أولاً الوقوف على تعريف مرضي للإرهاب، وكيف يمكننا تحديد الحالة

Simon (1994) إلى وجود أكثر من ٢١٢ تعريفاً مختلفاً للإرهاب متداولاً عبر العالم، يستخدم تسعون منها بشكل متكرر من قبل الحكومات والمنظمات الدولية. وفي عام ١٩٨٨ اعتمد الباحثان شميد ويانجمان Schmid and Jongman من جامعة ليدن الهولندية؛ مدخل العلوم الاجتماعية بغية استكشاف أفضل السبل لتعريف الإرهاب، حيث قاما بتجميع وفحص أكثر من ١٠٠ تعريف أكاديمي ورسمي للإرهاب وتحديد مكوناتها الأساسية، حيث انتهوا من خلال تحليل المضامين تحليلاً منهجياً دقيقاً إلى تحديد الصور والأنماط والنماذج والمعاني التي تضمنتها تلك التعاريف؛ فجاءت النتائج كالتالي: (Matusitz, 2013).

- ١- انطوى ٨٣, ٥٪ من التعريفات على مفهوم العنف.
- ٢- ظهر استهداف أهداف سياسية في ٦٥٪ من التعريفات.
- ٣- اعتبر ٥١٪ من التعريفات أنه عمل يسبب الخوف والرعب.
- ٤- أشار ٢١٪ من التعريفات إلى أنه تصرف تعسفي وعشوائي (من حيث الاستهداف).

٥- أشار إلى أن الضحايا من المدنيين أو المحايدين أو غير المقاتلين أو الغرباء في ١٧, ٥٪ من التعريفات. ويشار كذلك إلى أن دراسة مراري (Merari, 1993) انتهت إلى ملاحظة أن التعريفات القانونية الرسمية للإرهاب في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا تتضمن ثلاثة عناصر مشتركة هي: (Matusitz, 2013).

- ١- استخدام العنف.
 - ٢- الأهداف السياسية.
 - ٣- العمل على بث الخوف في صفوف السكان.
- ويرى ماتيوسيتز Matusitz أن من أكثر التعريفات قبولاً هو أن الإرهاب يتمثل في: استخدام العنف في خلق أجواء من الخوف والذعر من أجل تحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية. ويضيف أن الإرهاب يختلف عن الجريمة التقليدية بحكم الأهمية البالغة للأهداف التي يستهدفها، والرغبة الملحة في إحداث تغيير حتمي في واقع ما، واعتبار أن قتل المدنيين برغم كونه عملاً سيئاً إلا أنه أقل سوءاً بمراحل من عدم تحقق التغيير المستهدف. كما أن الإرهاب هو بمثابة حرب غير متكافئة، وينتج عدم التكافؤ من كون العمليات الإرهابية تنطوي على عنف عشوائي لا

أهداف مدنية بغرض خلق وبث حالة من الخوف العام بغية تحقيق أغراض سياسية. ويشير ميتوسيتز Matusitz في دراسته إلى مقولتين هامتين تتعلقان بتعريف الإرهاب هما:

١- مقولة ستيفن سلون Stephen Sloan بأن تعريف الإرهاب يتغير ويتطور عبر الزمن لكن كونه يستهدف أهدافاً سياسية أو دينية أو أيديولوجية لا يتغير أبداً.

٢- مقولة ياسر عرفات الشهيرة في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤ "إن الإرهابي في نظر البعض هو مناضل من أجل الحرية في رأي البعض الآخر"، وهي المقولة التي تعبر عن مدى التحيزات السياسية في تعريف الإرهاب، والتي نادراً ما يتجاهل ذكرها في دراساتهم أي من الباحثين المعنيين بالظاهرة الإرهابية (Matusitz, 2013).

وفي دراسة أخرى هامة يشير أستاذ العلوم السياسية الهندي فينايك Vanaik إلى أن القواميس جرت على اعتبار الإرهاب يشمل عنصراً أو أكثر مما يلي: (١) التخويف المنظم، (٢) العنف ضد المدنيين أو غير المقاتلين (٣) الاستخدام العشوائي للعنف (٤) الاستخدام غير المشروع للعنف وهذا يشير تساؤلات كثيرة حول كنه العنف المنظم وماهية

يمكن التنبؤ به، يقع من قبل قوة صغيرة (نفر محدود) في مواجهة قوة أكبر (حكومة أو جيش أو حتى مجتمع بأكمله). ومن عنصري العشوائية والمفاجأة تكتسب المجموعة الإرهابية المبادرة والتفوق، وهما أمران لا يتحققان لها أبداً باستخدام التكتيكات العادية للحرب النظامية (Matusitz, 2013)).

ويسرد ميتوسيتز Matusitz في دراسته العديد من التعريفات الشائعة للإرهاب منها: (Matusitz, 2013)

١- تعريف عصبة الأمم حسب اتفاقية ١٩٣٧: الأعمال الإرهابية هي الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما والتي يقصد منها خلق حالة من الرعب في نفوس أشخاص ما أو جماعة من الناس أو عامة الجمهور.

٢- تعريف والتر لاكير: Walter Laqueur الإرهاب هو استخدام أو التهديد باستخدام العنف كأسلوب للمواجهة أو استراتيجية لتحقيق أهداف معينة، وذلك من خلال إحداث حالة من الخوف في نفوس الضحايا دون رحمة أو التزام بالقواعد الإنسانية، وتعد الدعاية عنصراً محورياً في الاستراتيجية الإرهابية.

٣- تعريف يونا ألكسندر Yonah Alexander: الإرهاب هو استخدام العنف بعشوائية ضد

العنف المشروع وغير المشروع. ويضيف فينايك: إن أي تعريف مقبول للإرهاب يتعين أن يتسم بالحياد والموضوعية والحكمة بحيث لا يكون فضفاضاً واسعاً ولا ضيقاً قاصراً. وي طرح قضية نسبية القيم في تحديد ما هو عمل إرهابي وما هو غير ذلك قائلاً: " إن الناظر في القواميس الأمريكية (حال وبستر Webster وفانك Funk ووجنل Wagnall) في الخمسينيات سيدرك على الفور أن تعريفها للإرهاب كان يمضي في سياق منظورات الحرب الباردة، وبالتالي ربط الإرهاب بالنظم الشمولية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوروبا. بمعنى أن التصور الذي كان شائعاً عن الإرهاب آنذاك كان يربطه بنظم الحكم السيئة من وجهة النظر الأمريكية والغربية، وكان ذلك بطبيعة الحال قبل اندلاع موجات الإرهاب المتتالية في الستينيات وما بعدها (Vanaik, 2002)."

ومن ثم يقدم فينايك تعريفه وتوصيفه للظاهرة الإرهابية معتبراً أن الإرهاب السياسي هو الاستخدام المتعمد والمخطط أو حتى التهديد باستخدام العنف في مواجهة فرد أو جماعة أو مؤسسة أكبر، والذي يستهدف أشخاصاً عزلاً لا يمتلكون أدوات لصد الهجوم أو التعامل مع آثار ذلك العنف. وبالتالي فإن ما يميز الإرهاب السياسي

عن جرائم القتل العادية هو أنه يستهدف أهدافاً سياسية، وله سياق سياسي. (Vanaik, 2002)

ويستمد العمل الإرهابي فعاليته وعدم قدرة المستهدفين به على مواجهته من عدة أمور منها:

- ١- أنه عمل مفاجئ يقع خارج نطاق ساحة المعركة أو الحرب التقليدية أو المعهودة.
- ٢- طبيعة المستهدفين به والذين هم المدنيون العزل غالباً.
- ٣- طبيعة الأسلحة المستخدمة.
- ٤- عدم التكافؤ الصارخ في القوة بين الطرفين القائم بالعمل والمستهدف به في منطقة وتوقيت التنفيذ.

ويضيف أن العمل الإرهابي قد يقوم عليه أفراد أو جماعات قتالية أو حتى بعض الأجهزة التابعة لبعض الدول. (Vanaik, 2002)

وإجمالاً يمكن تصنيف أبرز اتجاهات تعريف الإرهاب على النحو التالي:

أولاً: اتجاهات التعريف التي تركز على الآثار

النفسية للإرهاب

هذا ويركز العديد من المعنيين بدراسات الإرهاب بصدد تعريفه وخصائصه على كونه عملاً قوامه استخدام العنف أو التهديد باستخدامه؛ يستمد فعاليته، في المقام الأول، من الآثار النفسية

قدر ممكن من الخوف والدمار في صفوف المستهدفين (Elbakidz & Jin, 2012).

ويرى جينكنز على رأس فريق محوري الموسوعة البريطانية أن الإرهاب هو الاستخدام المنهجي للعنف بغية خلق مناخ عام من الخوف في صفوف المدنيين من أجل تحقيق هدف سياسي معين. وقد يمارس الإرهاب من قبل تنظيمات سياسية يسارية أو يمينية، كما قد تمارسه الجماعات القومية و الدينية أو حتى جموع الثور أو مؤسسات الدولة حال الجيش والشرطة وأجهزة الاستخبارات. ويعتمد الإرهاب في المقام الأول على بث الخوف على نطاق واسع يتجاوز الضحايا المباشرين إلى جموع شعب ما أو قطاع كبير منه، ومن هنا يختلف الإرهاب عن كل من الحرب النظامية وحرب العصابات الذي لجأت إليه بعض الحركات السياسية مثل الفيتكونج في فيتنام والخمير الحمر في كمبوديا، حيث كلا الأسلوبين قد يعتمد بعض الممارسات الإرهابية لكنه يعتمد لتحقيق النصر على استخدام القوة المسلحة بصفة أصيلة (Jenkins(ed.), 2013).

ويعرف واردلو Wardlaw الإرهاب بأنه عملية استخدام أو التهديد باستخدام العنف من قبل فرد أو جماعة معارضة لسلطة حاكمة قائمة، ويتم تصميم هذه العملية بحيث تحدث حالة من القلق الشديد أو إشاعة أسباب الخوف في صفوف جماعة

التي يحدثها في نفوس الجماهير، بغض النظر عن حجم الأضرار المادية التي يتسبب فيها. إن صلب الإرهاب، إذًا، هو بث مشاعر الخوف والذعر في نفوس أعداد كبيرة من الناس تتجاوز بمراحل عدد المستهدفين المباشرين بالعمل الإرهابي أو ضحاياه. فعلى سبيل المثال يرى ريمون آرون Raymond Aron أن ما يميز العمل الإرهابي عن غيره من أعمال العنف هو أن نتائجه النفسية على الجمهور أكبر من آثاره المادية، ونظراً لأن معظم الأعمال الإرهابية لا تستهدف أفراداً محددين بذواتهم فإنه لا أحد يكون في مأمن من عواقبها. ويرى روبرت موس Robert Moss أن الإرهاب هو الاستخدام المنهجي للتخويف من أجل تحقيق أهداف سياسية. ويقول لينين عن الغايات النفسية للإرهاب: "إن الهدف من الإرهاب هو الإرهاب" (Groom, 1978).

ويؤكد جروم Groom على ما تقدم بقوله إن عناصر العمل الإرهابي هي: استخدامه وسائل غير مألوفة للتخويف، ومفاجئته للضحايا والمستهدفين وعامة الجمهور، وكون التأثير النفسي له أهم وأوسع مدى من الآثار المادية المترتبة عليه، إلى جانب استهدافه لأهداف سياسية (Groom, 1978).

ويرى إلباكيتز وجين Elbakidz and Jin أن الإرهابيين يتصرفون كصناع القرارات الرشيدة حيث يستخدمون مواردهم المحدودة في تحقيق أكبر

بث الخوف والذعر (Sandler, Tschirhart & Cauley, 1983).

كما يعرفه إندرز وساندلر Enders & Sandler بأنه الاستخدام المخطط أو التهديد باستخدام العنف من قبل الأفراد أو جماعات فرعية دون وطنية-Sub national Groups بغية تحقيق أهداف سياسية، أو اجتماعية، من خلال بث الخوف في صفوف جمهور كبير أوسع نطاقاً من الضحايا المباشرين (U. Elu, 2012).

وترى مارثا كرينشو أن الأعمال الإرهابية قد تحدث في سياق المقاومة العنيفة للدولة كما قد تتم لخدمة أهدافها ودعم مصالحها. إن الأعمال التي تتم في إطار المقاومة من أجل إحداث تغييرات سياسية لا تصب اهتمامها على حجم الموارد التي يتم تدميرها أو عدد الضحايا المباشرين من البشر جراء عملياتها بقدر اهتمامها بما تحدثه من آثار نفسية في نفوس الجماهير العريضة، بما يهيئ لجذب اهتمامها لدوافع القائمين على العمل الإرهابي وقضاياهم (Crenshaw, 1981).

يشار كذلك إلى أن قانون مكافحة الإرهاب البريطاني لعام ١٩٧٤ قد عرف الإرهاب لأغراض تشريعية بأنه: "استخدام العنف من أجل تحقيق أهداف سياسية، من خلال إشاعة الخوف في صفوف الجماهير أو قطاع منها". وهو تعريف فضفاض جداً،

أكبر من مجرد الضحايا المباشرين، وذلك بغرض إجبار تلك الجماعة على تبني المطالب السياسية للجنة (Schwartz, 1998).

ويتفق القائمون على تقرير مؤشر الإرهاب العالمي Global Terrorism Index_ من باحثين وأعضاء هيئة استشارية- على أن تعريف الإرهاب يعد مسألة معقدة وأنه ليس ثمة تعريف واحد متفق عليه عالمياً في هذا الصدد، كما أن هناك العديد من التعاريف المتنافسة فيما يتعلق بمصطلح الإرهاب. ومع ذلك يتبنى القائمون على التقرير تعريفاً للإرهاب قوامه أنه: "هو الاستخدام الفعلي أو التهديد باستخدام القوة أو العنف بصورة غير قانونية، من قبل فاعل من غير الدول بغية تحقيق هدف سياسي، أو اقتصادي، أو ديني، أو اجتماعي، من خلال الإكراه، أو التخويف، أو بث الذعر" وبالتالي فالإرهاب لا يتضمن فقط الفعل المادي المباشر الذي ينطوي عليه الهجوم، وإنما يشمل كذلك التأثير النفسي الذي يحدثه هذا الفعل، والذي ربما يمتد لسنوات لاحقة (The Global Terrorism Index, 2012).

وفي ذات السياق يعرف ساندلر وتشيرهارت وكاولي Sandler, Tschirhart, and Cauley الإرهاب بأنه هو استخدام أو التهديد باستخدام القوة أو العنف تحقيقاً لأهداف سياسية من خلال الإكراه أو

كانت المبررات التي تتذرع بها، أو تستند إليها، سياسية، أو فلسفية، أو عقائدية، أو عرقية، أو دينية، أو غير ذلك من الذرائع^(٣).

كذلك فإن قرار مجلس الأمن رقم ١٥٦٦ لعام ٢٠٠٤ يقدم تصوراً للإرهاب بأنه: الأعمال الإجرامية، بما في ذلك تلك التي ترتكب ضد المدنيين بقصد إلحاق الموت بهم أو إصابتهم بإصابات جسدية خطيرة، أو أخذ الرهائن بغرض إشاعة حالة من الرعب بين عامة الجمهور أو جماعة من الأشخاص أو أشخاص معينين، أو لتخويف جماعة من السكان، أو إرغام حكومة أو منظمة دولية على القيام بعمل ما أو عدم القيام به، والتي تشكل جرائم في نطاق الاتفاقيات والبرتوكولات الدولية ذات الصلة بالإرهاب ووفقاً للتعريف الوارد فيها، لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف تبريرها بأي اعتبارات ذات طابع سياسي أو فلسفي أو عقائدي أو عنصري أو عرقي أو ديني أو أي طابع آخر من هذا القبيل، ويهيب بالدول أن تمتنع هذه الأعمال، وأن

كما ترى تيكمان Teichman لأنه يشمل أعمال الشغب، وعنف الشوارع، كما قد يشمل أيضاً إجراءات أعمال العقوبات القانونية، وعمليات ردع المجرمين (Teichman, 1989).

ثانياً: اتجاهات التعريف التي تركز على اللامشروعية القانونية للعمل الإرهابي

وإلى جانب الاتجاهات السابقة لا يمكننا إغفال ذلك الاتجاه الذي يركز في تعريفه للإرهاب وخصائصه على اعتباره عملاً ينطوي على استخدام أو تهديد باستخدام العنف غير المشروع، وبالتالي يعالج هذا الاتجاه الظاهرة الإرهابية انطلاقاً من عدم مشروعيتها القانونية. وتندرج تحت هذا الاتجاه، في الأغلب الأعم، التعريفات الصادرة عن المنظمات الدولية، وكذلك تلك الصادرة عن الحكومات والأجهزة الرسمية داخل الدول. ولعل من أظهر الأمثلة لهذا التوجه القانوني في تعريف الإرهاب؛ القرار رقم ٤٩ / ٦٠ للجمعية العامة للأمم المتحدة المعتمد في ٩ ديسمبر ١٩٩٤ بعنوان التدابير الرامية للقضاء على الإرهاب الدولي؛ حيث قدم توصيفاً للإرهاب مفاده: أن الأعمال الإجرامية التي تهدف إلى إشاعة الرعب في صفوف العامة أو جماعة من الأشخاص أو حتى أشخاص محددين تحقيقاً لأهداف سياسية هي أعمال لا يمكن تبريرها مهما

(٣) ورد هذا التعريف ضمن تعريفات عديدة أوردها الموقع

الرسمي لإدارة الشؤون العسكرية والطوارئ بولاية

أريزونا الأمريكية تحت عنوان Various Definitions of

Terrorism Controversy in Defining Terrorism, متاح على

الرابط التالي:

<http://www.azdema.gov/museum/famousbattles/pdf/Terrorism%20Definitions%20072809.pdf>

بدولة ما أو منظمة دولية بما تنطوي عليه من ترويع جدي للسكان، أو إجبار دولة، أو منظمة دولية على القيام، أو الامتناع عن القيام بعمل ما، أو زعزعة الاستقرار على نحو خطير، أو تدمير الهياكل السياسية و الدستورية والاقتصادية والاجتماعية الأساسية لدولة أو منظمة دولية (Various Definitions of Terrorism, online).

كما تتعين الإشارة في هذا السياق إلى أن القانون الجنائي الاتحادي الأمريكي (مادة ١٨) يحدد الأعمال الإرهابية بأنها: الأنشطة التي تنطوي على العنف أو أية أعمال تهدد الحياة وتمثل انتهاكاً للقوانين الجنائية للولايات المتحدة أو قوانين أي من الولايات، والتي تهدف إلى إخافة أو إجبار السكان المدنيين، أو التأثير على سياسة الحكومة من خلال الإكراه والتخويف، أو التأثير على سلوك الحكومة من خلال استخدام أسلحة الدمار الشامل، أو عمليات الاغتيال، أو الاختطاف.. إلخ، والتي تحدث داخل نطاق الولاية الإقليمية للولايات المتحدة. كما أن قانون باتريوت الصادر في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أدرج تحت بند الإرهاب التهديد أو التآمر أو محاولات خطف الطائرات أو القوارب أو الحافلات أو غيرها من المركبات. وكذلك التهديد أو التآمر أو الشروع في ارتكاب أعمال عنف في مواجهة أي شخص يتمتع بالحصانة

تكفل، في حال عدم منعها، المعاقبة عليها بعقوبات تتماشى مع ما لها من طابع خطير (Various Definitions of Terrorism, online).

يشار كذلك إلى أن هذا التوجه القانوني في تعريف الإرهاب كان الغالب دائماً على التعريفات الصادرة عن الأجهزة واللجان الحكومية الأمريكية، فخلال عقد الستينيات تبنت وزارت الدفاع والخارج والعدل الأمريكية، كما مكتب التحقيقات الفيدرالي، تعريفاً للإرهاب قوامه: "مجموعة متنوعة من الأنشطة الإجرامية التي تنطوي على استخدام غير مشروع للقوة". وفي عام ١٩٨٦ أكد نائب رئيس فريق العمل على مكافحة الإرهاب (لجنة بوش) على أن الإرهاب هو: "الاستخدام غير القانوني أو التهديد باستخدام العنف ضد الأفراد أو الممتلكات من أجل تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية من خلال إجبار حكومة ما أو أفراد أو جماعات على تغيير سلوكها السياسي" (Teichman, 1989).

وارتباطاً بذات المنحى القانوني حدد الاتحاد الأوروبي لأغراض رسمية قانونية في المادة الأولى من القرار الإطارى بشأن مكافحة الإرهاب لعام ٢٠٠٢ الجرائم الإرهابية بأنها بعض الجرائم الجنائية الخطيرة التي ترتكب في مواجهة الأشخاص والممتلكات والتي ارتباطاً بسياقها وطبيعتها تلحق أضراراً بالغة

حال المسؤولين الحكوميين. بالإضافة على أي جريمة ترتكب باستخدام أي سلاح أو جهاز خطير حين يكون الغرض من الجريمة تعريض السلامة العامة أو الممتلكات لأضرار كبيرة ولا تأخذ في الاعتبار تحقيق مكاسب مالية شخصية (Various Definitions of Terrorism, online).

كما يعرف قاموس المصطلحات العسكرية لوزارة الدفاع الأمريكية؛ الإرهاب بأنه: الاستخدام المخطط للعنف غير القانوني أو التهديد باستخدامه بغية بث الخوف؛ بقصد إجبار أو تخويف الحكومات أو المجتمعات، في سبيل تحقيق أهداف ما عادة ما تكون سياسية، أو دينية، أو أيديولوجية (Various Definitions of Terrorism, online).

ثالثاً: اتجاهات التعريف التي تركز على مدى أخلاقية العمل الإرهابي

وعلى الرغم من أن نعت الإرهاب يرتبط عموماً بالتحقير والازدراء واللاشرعية واللاأخلاقية فإن ثمة دراسات أضفت شيئاً من الشرعية على بعض الأعمال الإرهابية باعتبارها مبررة ارتباطاً بنبل الأهداف التي تستهدفها، وكأن لسان حال أصحاب هذا التوجه هو أنه لا ينبغي أن نضع كل البيض في سلة واحدة، إذ ليس كل الأعمال التي ينعتها البعض بالإرهاب تتساوى طبقاً للمعايير الأخلاقية. فعلى

سبيل المثال تقول تيكمان Teichman بأنه لا بد أن نعترف بأن الإرهابيين ليسوا دائماً وبالضرورة على الجانب الخاطئ، وعليه فإن التعريف الحديث للإرهاب يتعين أن يتضمن كونه تمرداً ذا أهداف خيرة لكنه ذو وسائل سيئة، كما أن الإرهاب قد ينتج عن الاتجاهات اليمينية كما قد ينتج عن الاتجاهات اليسارية (Teichman, 1989). وتضيف في موضع آخر أن ثمة من يرى أن الإرهاب ليس بالضرورة عملاً غير مشروع من الناحية الأخلاقية، وهناك من يرى بأنه ليس ثمة ما هو مشروع أو غير مشروع أخلاقياً في حد ذاته وأن نتائج العمل هي التي تبين ما إذا كان عملاً صحيحاً أو خاطئاً، وبالتالي فالأعمال الإرهابية جيدة إذا كانت تستهدف أهدافاً جيدة، وسيئة إذا كانت تستهدف أهدافاً سيئة، وهناك من يرى بأن الإرهاب بمثابة القنبلة النووية للفقراء (Teichman, 1989).

ويشير جورج George إلى أن كثيراً من الأعمال الإرهابية التي ارتكبت في الماضي كانت مبررة تماماً من الناحية الأخلاقية، وذلك حال تلك الأعمال التاريخية التي استهدفت قتل الحكام الطغاة كقيصر روما، وملك فرنسا هنري الرابع، ومحاولات اغتيال نابليون الثالث امبراطور فرنسا عام ١٨٥٨، والمحاولات العديدة لاغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني خلال القرن التاسع عشر (George, 1988).

جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر. غير أنها أكدت في المادة الثانية (فقرة أ) على أنه "لاتعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان، من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لأحكام القانون الدولي" (الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، ١٩٩٨)

رابعاً: اتجاهات التعريف التي تركز على الدعاية كأحد مقومات العمل الإرهابي

وإلى جانب كل ما تقدم فإن ثمة دراسات عديدة ركزت بصدد توصيف الإرهاب على الدعاية باعتبارها أحد مقومات العمل الإرهابي الرئيسية، ويتأسس ذلك على حقيقة أن الغرض الرئيسي من الإرهاب هو جذب اهتمام الرأي العام إلى قضية معينة يسعى مدبرو العمل الإرهابي إلى إبرازها وتركيز الأضواء عليها. وترى مارثا كرينشو Martha Crenshaw، في هذا الصدد، أن المحرك الأساسي المشترك للمنظمات الإرهابية هو كسب الاعتراف أو جذب الانتباه إلى القضايا التي تتبناها، أو كما يقول

ويذكر أوبرشول Oberschall أن استخدام العنف بغية تحقيق أهداف سياسية هو أمر شائع، ووسيلة تلجأ إليها الدول، والمنظمات الدولية، وجماعات المواطنين، والجماعات الطائفية؛ وتبررها بأنها دفاع عن النفس، أو أداة لتحقيق قيمة ذات أهمية بالغة يتعذر تحقيقها بغير وسائل العنف والانتقام. ففي أزمنة عديدة تم تبرير استخدام العنف في مواجهة الحكام الظالمين والفسادين والطغاة، أو اللجوء إليه من أجل الحصول على حق تقرير المصير، أو لمواجهة الاستغلال وتحقيقاً للعدالة الاجتماعية، أو باسم التدخل الإنساني لإنقاذ الناس من الإبادة الجماعية؛ وهذه فقط بعض الأسباب الشائعة لا كلها. وعلى صعيد الرأي العام هناك أسباب لاستخدام العنف أكثر قبولاً وقابلية للتبرير من غيرها. فالأهداف السياسية من شاكلة تحقيق الاستقلال الوطني، أو العدالة الاجتماعية، أو المساواة للأقليات؛ ينظر إليها على نطاق واسع كأهداف سياسية مشروعة، وغالباً ما تحظى بدعم شعبي كبير (Oberschall, 2004).

وتتبع الإشارة كذلك في هذا الخصوص؛ إلى أن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب (١٩٩٨) في مادتها الأولى الفقرة الثانية عرفت الإرهاب بأنه: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذه لمشروع إجرامي فردي أو

يعلن القائمون على العمل الإرهابي مسئوليتهم عنه.

ويشير هوفمان وشيلتون وكليفن Hoffman, Shelton and Clevan إلى أنه كما أن وسائل الإعلام تسعى إلى تغطية الأعمال الإرهابية؛ فإن لمنفذي هذه الأعمال الرغبة والمصلحة في هذه التغطية الإعلامية، فكما يقول تيد كوبل Ted Koppel: "إن الإرهاب بدون تغطية إعلامية هو كشجرة الفيلسوف الافتراضية التي تسقط في الغابة.. لا أحد سمع بسقوطها وبالتالي فهذا الحدث هو كأن لم يكن" (Hoffman, Shelton & Clevan, 2013)

وغاية القول في شأن كل ما تقدم أنه ليس ثمة اتفاق على تعريف واحد للإرهاب مقبول من كافة. إذ اختلف الأكاديميون في هذا الصدد باختلاف مشاربهم الفكرية والأيدولوجية، كما اختلف الفرقاء السياسيون أفراداً ودولاً باختلاف المصالح والتوجهات، فلا أحد من هؤلاء الفرقاء يقبل أن يُنعت بالإرهاب في الوقت الذي يمعن في وصف خصومه به. ومن هنا تطفئ فكرة نسبة الحقائق، لاسيما في العلاقات الدولية، على تعريف الإرهاب وتوصيف الظاهرة الإرهابية، حيث تتبنى كل دولة معايير للقيم عموماً تتماشى مع مصلحتها القومية، وبالتالي تكون قواعد ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين هي سيدة الموقف في مجال تعاطي

ثورنتون Thornton إن هدف العمليات الإرهابية هو التعريف بالأسباب التي دفعت إليها. وتستمد الأعمال الإرهابية فعاليتها من جذب الانتباه ارتباطاً بكون العنف وسفك الدماء هي أكثر الأعمال إثارة لفضول واهتمام البشر. وفي ظل عالم اليوم المترابط فإن الفرصة تكون سانحة أمام المنظمات الإرهابية لنشر قضاياها أمام العالم بأكمله حيث الجماهير العريضة والأكثر تنوعاً، وبالتالي تتزايد عمليات الإرهاب الدولي الرامية إلى كسب الاعتراف العالمي، كما تتصاعد وتيرة العنف التي تنطوي عليها هذه العمليات (Crenshaw, 1981). وفي ذات السياق يرى جينكنز Jenkins أنه يمكن توصيف الأعمال الإرهابية عموماً على النحو التالي: (Jenkins, 1982).

- ١- هي أعمال تنطوي على استخدام العنف أو التهديد باستخدامه وعادة ما تمارس ضد أهداف مدنية.
- ٢- دوافع معظم الإرهابيين سياسية.
- ٣- عادة ما تصدر هذه الأعمال عن أفراد ينتمون إلى جماعات منظمة.
- ٤- يستهدف العمل الإرهابي أهدافاً تتجاوز الأضرار المادية المباشرة التي يتسبب فيها.
- ٥- تنفذ الأعمال الإرهابية عموماً بطرق تحقق أكبر قدر من الدعاية (جذب الانتباه)، لذلك وخلافاً لباقي الأعمال الإجرامية غالباً ما

وغيرها)؛ إلا وتستخدمه لإجبار الحكومة على الاستجابة لمطالب شديدة التكلفة تتعلق بإعادة توزيع السلطة والثروة والنفوذ (Krieger & Meierrieks, 2010)

ثم تعرض الدراسة لأبرز مسببات الظاهرة الإرهابية على النحو الذي نوجزه فيما يلي: (Krieger & Meierrieks, 2010)

١ - الحرمان الاقتصادي Economic Deprivation: بمعنى أن الإرهاب هو نتيجة طبيعية للفقر وعدم عدالة توزيع الموارد الاقتصادية داخل الدولة، وهنا نشير إلى فكرة الحرمان النسبي Relative Deprivation لتيد جور والتي قوامها أن العنف يتولد عن الفجوة الحادثة بين ما يشعر الأفراد أنهم يستحقونه من جهة، وما يحصلون عليه في الواقع من جهة أخرى. وارتباطاً بالحرمان النسبي تجد التنظيمات الإرهابية فرصتها سانحة في أوساط الفقراء لتجنيد أعداد كبيرة منهم في صفوفها والحصول على التمويل. وحين يتم إعمال فكرة الحرمان النسبي على المستوى العالمي نجد أن الدول الغنية اقتصادياً كثيراً ما تمثل مرمى للعمليات الإرهابية الناجمة هذه المرة عن الصراع بين الفقراء (الدول الفقيرة) والأغنياء (الدول الغنية).

الدول بعامة مع تلك الظاهرة المتأصلة المتجذرة المعقدة.

المبحث الثالث: بواعث الظاهرة الإرهابية في

الأدبيات المعاصرة

ركزت دراسات عديدة على تحليل بواعث الظاهرة الإرهابية؛ ونعني بالبواعث هنا؛ الأسباب والدوافع المحركة لتلك الظاهرة بالغة التعقيد. ومن الدراسات الحديثة والهامة التي تنصب بصفة أساسية على تحليل بواعث الظاهرة؛ تأتي دراسة كريجر وميريكس. Krieger and Meierrieks وتؤكد الدراسة بداية على أنه لا يوجد تعريف مقبول عالمياً للإرهاب، لكنه يعرف عموماً بأنه الاستخدام المتعمد للعنف والترهيب في مواجهة جمهور كبير، بغية إجبار مؤسسة ما (حكومة غالباً) على تقديم تنازلات أيديولوجية أو سياسية تستجيب لمطالب مستخدمي العنف. ويستهدف الإرهاب أهدافاً قصيرة المدى تتمثل في جذب اهتمام وسائل الدعاية والإعلام، وزعزعة استقرار نظام سياسي قائم، وإلحاق الضرر باقتصاديات الدولة. وأما الأهداف طويلة المدى فإن التنظيمات الإرهابية تتبنى عادة أهدافاً غير تقليدية يصعب الاستجابة لها في ظل العملية السياسية العادية، لذلك فهي لا تدخر أيّاً من وسائل العنف (اغتيالات، خطف رهائن..

فرص سياسية جديدة تشجع تنظيمات العنف الراديكالية على إقحام أجندتها السياسية.

٥- الهوية والصدام الثقافي: ويشار هنا إلى فكرة صامويل هنتنجتون عن صدام الحضارات، إذ يرى أن الصدام الحضاري قد يؤدي إلى العنف، حيث إن اختلاف الهويات الدينية أو العرقية قد يدفع إلى الصراع سواء بين الجماعات متبينة الهوية داخل المجتمع الواحد أو حتى بين مجموعات الدول المتبينة ثقافياً وحضارياً على المستوى الدولي (الدول الإسلامية في مواجهة الغرب مثلاً).

٦- النظام السياسي والاقتصادي العالمي: يرى البعض أن هيكل النظام الدولي وما ينطوي عليه من هياكل اقتصادية وتحالفات سياسية، والسياسات الخارجية لبعض القوى الكبرى، إلى جانب النتائج المترتبة على ظواهر مثل العولمة والهيمنة الأجنبية؛ قد تؤدي إلى ظهور التنظيمات الإرهابية التي تلجأ إلى العنف كتعبير عن رفضها لهذا الواقع وضرورة مقاومته.

٧- العدوى: فعلى سبيل المثال وجود الإرهاب في دولة ما قد يهيئ لوجود منظمات إرهابية في الدول المجاورة.

٢- التوتر الاجتماعي الاقتصادي الديموجرافي المواكب لعملية التحديث الاقتصادي أو السياسي أو الأيديولوجي؛ وما يترتب عليه من ظهور مشكلات ومظالم مثل انتشار البطالة، وزيادة معدلات الاغتراب، وتقديم وسائل الاتصال؛ على نحو يوفر أرضاً خصبة لنمو المنظمات الإرهابية وتيسر سبل التواصل بين أعضائها.

٣- النظام السياسي والمؤسسي: حيث يرى البعض أن النظام السياسي الديمقراطي يتيح وسائل سلمية عديدة للتعبير عن الرأي، لكنه يقف عاجزاً عن التصدي للإرهاب لأنه يكون مكبلاً بقيد المحافظة على الحقوق المدنية التي قد تتعارض معها تدابير مكافحة الإرهاب. أما النظم الاستبدادية فربما تكون أقدر على مكافحة الإرهاب بلجوتها الدائم إلى الوسائل القمعية والاستثنائية دون قيود، لكن هذه النظم أيضاً قد تكون سبباً في ظهور وانتشار الإرهاب نظراً لما تؤدي إليه من مظالم سياسية وافتتات على الحقوق المدنية والسياسية للأفراد.

٤- التحول السياسي وعدم الاستقرار: حيث يرى البعض أن عملية التحول السياسي وما يواكبها من ظروف عدم استقرار وخلق

ومن أهم الدراسات الأخرى التي عنت بدراسة بواعث الإرهاب تلك الصادرة عن برنامج البحوث الممول من المفوضية الأوروبية والمعنون بالإرهاب عابر الحدود، الأمن وحكم القانون Transnational Terrorism, Security & the Rule of Law (TTSRL)، ويؤكد القائمون على هذه الدراسة أن ثمة أسباباً جذرية للإرهاب وأخرى موجهة له (Transnational Terrorism, Security & the Rule of Law, 2008)، وهم يحددون الأسباب الجذرية أو الأصلية للإرهاب في: (١) عمليات التحديث السريع والتحضر التي أدت بقوة إلى ظهور الإرهاب الأيديولوجي. (٢) انعدام الديمقراطية والحريات المدنية وحكم القانون والتي هي أمور من شأنها أن تخلق أنواعاً من الإرهاب داخل الدولة. (٣) السوابق التاريخية للعنف السياسي. (٤) عمليات القمع التي تصدر من المحتل الأجنبي أو القوى الاستعمارية. (٥) الشعور بالتمييز على أسس عرقية أو دينية.

وأما الأسباب الموجهة فيتمثلون أبرزها في: (١) الأحداث التي تفجر الانتقام أو الصراع مثل الصراعات الانتخابية، أو التعامل الوحشي للشرطة، أو غير ذلك. (٢) انعدام الفرصة في المشاركة السياسية. (٣) انتشار المظالم في صفوف قطاعات من السكان (بعمل إرادي من جانب زعامة حاكمة

بارزة). (٤) الرغبة في تطوير الذات من خلال الصعود الاجتماعي بالانتماء إلى مجموعة قوية. كما تعرض الدراسة لمجموعة من المداخل في تفسير بواعث ظاهرة الإرهاب، ولعل من أبرز هذه المداخل: (Transnational Terrorism, Security & the Rule of Law, 2008)

١- المدخل العقلاني أو التنظيمي Rational or Organizational Approach وهو يركز على أن الإرهاب هو نهج سياسي عقلائي منظم (مؤسسي)، كما أنه يمثل نتاجاً لعمل جماعي لا قرارات فردية أو مبادرات شخصية، ومن أظهر من قالوا بذلك مارثا كرينشو Martha Crenshaw.

٢- المدخل البنيوي أو السياسي، وينتمي إليه باحثو الستينيات والسبعينيات من ذوي التوجهات اليسارية. ولعل أبرز منظري هذا الاتجاه صاحب نظرية الحرمان النسبي Relative Deprivation تيد روبرت جور Ted Robert Gurr. ويركز هذا المدخل على أن أسباب الإرهاب كامنة في البيئتين الوطنية والدولية، ويتمثل أظهرها في الفقر والقهر وعدم المساواة. وهنا تبرز فكرة الحرمان النسبي لدي جور لوصف مشاعر الحرمان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي التي

تصيب الأفراد بالإحباط جراء عدم تمكنهم من تأمين تطلعاتهم وشعورهم بالفجوة بين الواقع وهذه التطلعات، وهو الإحباط الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور العنف الجماعي.

٣- المدخل النفسي Psychological Approach يأخذ المدخل النفسي في الحسبان دوافع الأفراد الذين يلجأون إلى الإرهاب، وفي هذا السياق الذي يركز على الخصائص الشخصية والمعتقدات والتوجهات؛ تبرز دراستا مارك سيجمان (2004) (Marc Sageman) وبروس هوفمان (1999) (Bruce Hoffman)، حيث تركزت الدراستان في المقام الأول على خصائص وملامح الشخص الإرهابي أو الجماعة الإرهابية، فعنيتا بدراسة السلوك، وأساليب التجنيد، والخصائص الجسدية، وكذا المهن التي يمتنها الإرهابيون. وكذلك كانت هناك (في عام ٢٠٠٣) دراسة روبرت بيب Robert Pape التي عنيت بالكشف عن دوافع العمليات الإرهابية الانتحارية من خلال دراسة ١٨٨ حالة؛ وانتهت إلى أن هذه الدوافع ليست دائماً دينية كما كانت تؤكد الدراسات التقليدية.

٤- مدخل المسببات المتعددة Multi-Causal Approach وهو يؤكد على أن ثمة جملة مسببات متنوعة تفضي إلى ظاهرة الإرهاب، وبالتالي وجود متغيرات سببية عديدة يتعين أخذها في الحسبان عند المعالجة العلمية للظاهرة، وعليه فهو مدخل يدمج الاعتبارات النفسية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية، والعوامل الاجتماعية في التحليل لفهم ظاهرة الإرهاب. فنجد باول ويلكنسون (1970) (Paul Wilkinson) مثلاً يحدد أسباباً للعنف السياسي تتمثل في الصراعات العرقية، والدينية، والأيدولوجية. وفي ذات السياق يرى جينكنز Jenkins أن ثمة أسباباً عديدة وراء تزايد معدلات الأعمال الإرهابية من عام إلى آخر منها، تيسر إمكانات التنقل السريع عبر الحدود باستخدام الطائرات، وسهولة الوصول إلى الرأي العام العالمي من خلال وسائل الإعلام الحديثة، وتوافر الأسلحة والمتفجرات وتيسر الحصول عليها، إلى جانب بعض جوانب الضعف في بنية المجتمعات الحديثة، وانتشار الشعور بالظلم، والانقسامات العرقية والأيدولوجية والدينية عميقة الجذور، وفشل الوسائل التقليدية في المعارضة أو التأثير السياسي، وأيضاً التقاليد التاريخية للعنف السياسي، والأيدولوجيات المحرزة على العنف، وضعف استجابة الحكومة وإدراكها للمطالب

١- أن ثمة دراسات عديدة ترد الأصول التاريخية لظاهرة الإرهاب إلى نظام الحكم القمعي الذي أقامه ماكسيمليان روبيسبير غداة الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، ولاسيما عاما ١٧٩٣ و ١٧٩٤، وهي الفترة التي يشير إليها المؤرخون بعهد الإرهاب.

٢- مرت الظاهرة الإرهابية بمحطات تاريخية عديدة مثلت كل منها نقلة نوعية طالت مقومات الظاهرة وآلياتها، وقد تمثل أبرز هذه المحطات في:

أ) عقود منتصف القرن التاسع عشر والتي شهدت استثناء ظاهرة الإرهاب الفوضوي أو الذي تبنته التنظيمات الفوضوية المناوئة لفكرة الدولة، والتي انتشرت إذًا في بلدان أوروبا لاسيما روسيا وفرنسا، حال منظمة نارودناريا فوليا الروسية.

ب) الحقبة التي تضم العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين؛ والتي شهدت تصاعد أنشطة الإرهاب المؤسس غالباً على الأفكار القومية والاشتراكية، وهي الحقبة التي يطلق عليها البعض وصف العصر الذهبي للإرهاب.

ج) حقبة ما بين الحربين العالميتين والتي شهدت بروز نموذج إرهاب الدولة الذي جسده الحكم القمعي للعديد من الأنظمة الشمولية

المطروحة، وعدم فعالية قوات الأمن وضعف الحس الأمني لديها، وكذلك القيمة العالية لحياة الإنسان في الدول المعاصرة على نحو يمنعها من تجاهل مطالب الخاطفين حفاظاً على أرواح المختطفين، وهناك كذلك ارتفاع أعداد الدول الداعمة للتنظيمات الإرهابية، وشرعة الإرهاب ذاته من قبل القائمين على العمليات الإرهابية باعتباره سلوكاً طبيعياً (Jenkins, 1982).

الخاتمة

استهدفت هذه الدراسة التعريف بأبرز اتجاهات تحليل ظاهرة الإرهاب من حيث جذورها، وتطورها التاريخي، ومدلولها العلمي، وسماتها، وبواعثها، وعليه فقد ضمناها بمبحثين عاجلنا في الأول الجذور التاريخية للظاهرة الإرهابية وتطورها، في حين أفردنا المبحث الثاني للتعريف بالظاهرة الإرهابية: مدلولها وسماتها وبواعثها. ومن ثم شرعنا، من خلال طريقة تحليل المضمون، في استعراض أبرز الدراسات المعاصرة التي عاجلت الظاهرة محل البحث على مدى زمني يتجاوز العقود الأربعة الفائتة. وقد خلصنا تأسيساً على ما تقدم إلى جملة من النتائج تتعلق بهدف البحث يتمثل أظهرها فيما يلي:

والسلطوية التي مثلت سمة تلك المرحلة، حال النظام الشيوعي السوفييتي، والنظام النازي الألماني، والنظام الفاشي الإيطالي، ونظام فرانكو الإسباني.

(د) حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي شهدت تصاعد ممارسات العنف من حركات التحرر الوطني في أصقاع العالم الثالث، حال جبهة التحرير الوطني الجزائرية.

(هـ) حقبة ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، والتي شهدت تصاعد الأنشطة الإرهابية للتنظيمات الثورية اليسارية والفوضوية الجديدة حال الألوية الحمراء الإيطالية، والجيش الأحمر (بادر-ماينهوف) الألمانية، والجيش الأحمر الياباني، وحركة ٢ يونيو الفرنسية، وكذا التنظيمات اليمينية المتطرفة حال الكو كوكس كلان الأمريكية، والعرقية الانفصالية حال منظمة إيتا الإسبانية.

(و) حقبة تسعينيات القرن العشرين، والتي شهدت نقلة نوعية بارزة في تاريخ الظاهرة الإرهابية لاسيما من حيث التطور الكبير في آليات العنف التي لجأت إليها التنظيمات الإرهابية، والتي وصلت إلى حد استخدام أسلحة دمار شامل كما حدث في هجوم جماعة أوم شينريكيو الدينية اليابانية بغاز السارين السام على مترو طوكيو عام ١٩٩٥. وقد مثل هذا العقد حقبة الإرهاب الديني الراديكالي بامتياز، حيث تصاعدت إلى حد كبير أنشطة جماعات

دينية راديكالية يأتي في مقدمتها تنظيم القاعدة، والذي يعتبره البعض أحد إفرازات الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ بتبنيها وتشجيعها لكافة حركات العنف الراديكالي الإسلامي، ثم كانت الولايات المتحدة الداعم الأكبر لزعيم التنظيم أسامة بن لادن خلال مقاومته للسوفييت في أفغانستان خلال الثمانينيات، قبل أن ينقلب عليها ويصبح أحد أبرز أعدائها غداة حربها على العراق عام ١٩٩١، ومن ثم احتفاظها بتواجد عسكري غير مسبوق (من حيث الحجم) في بعض الدول الخليجية.

(ز) أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، والتي يعتبرها جل الدراسات النقلة النوعية الأبرز في تاريخ الظاهرة الإرهابية بما انطوت عليه من دلالات رمزية لا تخفى على أحد، وما ترتب عليها من حروب وإجراءات دولية كثيفة حثيثة وبالغة التعقيد في إطار ما يعرف بالحرب العالمية على الإرهاب التي تزعمتها الولايات المتحدة، وضمت شريكاتها في حلف النيتو والعشرات من الدول، ناهيك عن المنظمات الدولية وجهودها المتعاضمة في هذا الإطار.

(ح) أكدت أحداث ١١ سبتمبر، بكل تداعياتها، لفكرة النظام العالمي الجديد باعتباره نسقاً يدار غائياً من قبل قطب أوحده وعلى هدى من توجهاته وتصورات ومصالحه، حيث كان من شأن الأحداث رضوخ القوى الكبرى لهيمنة الولايات

المتحدة على توجيه دفة السياسة العالمية، وقيادة علاقات القوى في ظل النسق الدولي الجديد.

ط) تشير الدراسات إلى تصاعد كم الأنشطة الإرهابية خلال العقد التالي لأحداث ١١ سبتمبر برغم كل الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب، وإن كانت مسارح العمليات الإرهابية خلال تلك الفترة قد انتقلت من العالم الغربي بصفة أساسية إلى دول تنتمي إلى العالم الثالث حال أفغانستان، و العراق، والباكستان، والصومال، وتايلند، والفلبين.

٣- على الرغم من الجهود المضنية ومئات الدراسات التي قدمت في إطار معالجة الظاهرة وعشرات التعريفات التي قدمت في إطار الوقوف على مدلولها الدقيق؛ فإنه ليس ثمة اتفاق على تعريف واحد للإرهاب سواء على مستوى الحكومات والمنظمات الدولية، أو حتى بين الأكاديميين المهتمين بمعالجتها من شتى فروع المعارف الاجتماعية وفي مقدمتها علم السياسة.

٤- يمكن إيجاز أبرز سمات الظاهرة الإرهابية حسبما تناولتها الدراسات المختلفة التي عرضناها فيما يلي:

أ) يشير جل الدراسات إلى أن صلب الإرهاب هو استخدام العنف أو التهديد باستخدامه.

ب) يشير جل الدراسات إلى أن عنف الإرهاب يتجه في الأغلب الأعم نحو المدنيين الأبرياء، أو غير المقاتلين عموماً وممتلكاتهم.

ج) يشير العديد من الدراسات إلى أن العنف الإرهابي يستمد فعاليته، في المقام الأول، من الآثار النفسية التي يحدثها في نفوس الجماهير، بغض النظر عن حجم الأضرار المادية التي يتسبب فيها. إن صلب الإرهاب، إذاً، هو بث مشاعر الخوف والذعر في نفوس أعداد كبيرة من الناس تتجاوز بمراحل عدد المستهدفين المباشرين بالعمل الإرهابي أو ضحاياه.

د) يؤكد بعض الدراسات على لا شرعية العنف الإرهابي، بمعنى مخالفته للقانون نظراً لصدوره من جهات لا تملك الحق الشرعي (الدستوري أو القانوني) في استخدام العنف، وهو الحق الذي تمنحه الدساتير حصرياً للحكومات؛ ارتباطاً بوظيفتها في تحقيق الأمن والاستقرار داخل المجتمع. وهذا الأمر يثير الجدل حول ما هو عنف شرعي وما هو غير شرعي لاسيما في حال نموذج إرهاب الدولة.

هـ) يشير معظم الدراسات إلى أن القائم على العمل الإرهابي أو منفذه قد يكون دولة، أو تنظيمًا أدنى (جماعة فرعية أو منظمة)، أو أفراداً.

الإرهابي بالنسبة لشخص ما هو مقاتل من أجل الحرية بالنسبة لشخص آخر".

٧- تباينت الدراسات بصدد بواعث الإرهاب ما بين بواعث تتعلق بعدم العدالة في توزيع الموارد الاقتصادية (فكرة الحرمان النسبي)، وأخرى تتعلق بطبيعة النظام السياسي القائم وعدم قدرته على التعاطي مع ما تطرحه بيئته من مطالب، وثالثة ذات صلة بالهوية والصدام الثقافي، ورابعة بانتشار المظالم الاجتماعية، وخامسة ترتبط ببنية النظام الدولي ذاته، إلخ.

وخلاصة القول فقد اختلف الأكاديميون، على النحو المتقدم، بصدد تحديد مفهوم الإرهاب سماته وبواعثه؛ باختلاف مشاربهم الفكرية والأيدولوجية، كما اختلف الفرقاء السياسيون أفراداً ودولاً باختلاف المصالح والتوجهات، فلا أحد من هؤلاء الفرقاء يقبل أن يُنعت بالإرهاب في الوقت الذي يمعن في وصف خصومه به. ومن هنا تطغى فكرة نسبية الحقائق، لاسيما في العلاقات الدولية، على تعريف الإرهاب وتوصيف الظاهرة الإرهابية، حيث تتبنى كل دولة معايير للقيم عموماً تتماشى مع مصالحها القومية، وبالتالي تكون قواعد ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين هي سيدة الموقف

و) يشير معظم الدراسات إلى استهداف العمل الإرهابي أهدافاً سياسية بالمعنى الدقيق، بمعنى أنها أهداف تخص الشعب بأكمله أو قطاعات واسعة منه وليست أهدافاً شخصية، وذلك بغض النظر عن طابع هذه الأهداف أيديولوجياً كان، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً، أو غير ذلك.

ز) ثمة دراسات عديدة ركزت بصدد توصيف الإرهاب على الدعاية باعتبارها أحد مقومات العمل الإرهابي الرئيسية، ويتأسس ذلك على حقيقة أن الغرض الرئيسي من الإرهاب هو جذب اهتمام الرأي العام إلى قضية معينة يسعى مدبرو العمل الإرهابي إلى إبرازها وتركيز الأنظار عليها.

٥- على الرغم من أن نعت الإرهاب يرتبط عموماً بالتحقير والازدراء واللاشرعية واللاأخلاقية؛ فإن ثمة دراسات أضفت شيئاً من الشرعية على بعض الأعمال الإرهابية باعتبارها مبررة ارتباطاً بنبل الأهداف التي تستهدفها.

٦- اتفقت معظم الدراسات تقريباً على أنه لا يوجد تعريف واحد للإرهاب يحظى بالقبول العام من الكافة، وأن الإرهاب مصطلح يفسح المجال للأحكام الذاتية المنطلقة من التوجهات السياسية، والمقولة الشهيرة "إن

Crenshaw, Martha, The Causes of Terrorism, Comparative Politics, Vol. 13, No. 4 (Jul., 1981).

De LA Roche, Roberta Senechal, Toward a Scientific Theory of Terrorism (Sociological Theory , Vol. 22, No. 1, Theories of Terrorism, Mar. , 2004).

Elbakidz, Levan and Jin, Yanhong, Victim Countries of Transnational Terrorism: An Empirical Characteristics Analysis, Risk Analysis, Vol. 32, No. 12, 2012.

Hoffman, Aaron M., Crystal Shelton, and Erik Cleven, Press Freedom, Publicity, and the Cross-National Incidence of Transnational Terrorism, Political Research Quarterly 66(4) 2013 University of Utah.

Hubac-Occhipinti, Olivier, Anarchist Terrorists of the Nineteenth Century, in: Gérard Chaliand and Arnaud Blin (editors), The history of terrorism: from antiquity to al Qaeda, University of California Press, Ltd, London.2007 .

George, David, Distinguishing Classical Tyrannicide from Modern Terrorism, The Review of Politics, Vol. 50, No. 3 (Summer, 1988).

Groom, A. J. R., Coming to Terms with Terrorism, British Journal of International Studies, Vol. 4, No. 1 (Apr., 1978).

Matusitz , Jonathan, Terrorism and Communication: A Critical Introduction , Los Angeles, CA SAGE Publications, Inc 2013.

Migaux , Philippe , Al Qaeda , in : Gérard Chaliand and Arnaud Blin (editors), The history of terrorism: from antiquity to al Qaeda, University of California Press, Ltd, London.2007 .

Jackson, Richard, The Study of Terrorism 10 Years After 9/11: Successes, Issues, Challenges, International Relations / Uluslararası İlişkiler. Spring2012, Vol. 9 Issue 33.

Jenkins, Brian M., Statements about Terrorism , Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 463, International Terrorism (Sep., 1982)

في مجال تعاظم الدول بعامه مع تلك الظاهرة المتأصلة المتجذرة المعقدة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

مقلد، إسماعيل صبري، العلاقات السياسية الدولية

بين النظرية والواقع، (أسيوط، ٢٠٠٤، الطبعة الرابعة، إصدار خاص).

الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، متاحة على

الرابط التالي:

<http://www.lasportal.org/wps/wcm/connect/c9e15a8049c3aa7a9daf9d526698d42c/legalnet-5-7.pdf?MOD=AJPERES>

ثانياً: المراجع الأجنبية

Blin, Arnaud, The United States Confronting Terrorism. , in : Gérard Chaliand and Arnaud Blin (editors), The history of terrorism: from antiquity to al Qaeda, University of California Press, Ltd, London.2007.

Chaliand, Gérard and Blin, Arnaud, The “Golden Age” of Terrorism, in: Gérard Chaliand and Arnaud Blin (editors), The history of terrorism : from antiquity to al Qaeda, University of California Press, Ltd, London.2007.

Chaliand, Gérard and Blin, Arnaud, From 1968 to Radical Islam, in : Gérard Chaliand and Arnaud Blin (editors), The history of terrorism: from antiquity to al Qaeda, University of California Press, Ltd, London.2007.

Counter-Terrorism Committee Website : <http://www.un.org/en/sc/ctc/>

- <http://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/2012-Global-Terrorism-Index-Report.pdf>
Transnational Terrorism, Security & the Rule of Law, Concepts of Terrorism: Analysis of the rise, decline, trends and risk ,p. 6 , Available at :
<http://www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/WP3%20Del%205.pdf>
- U. Elu , Juliet , Terrorism in Africa and South Asia : economic or existential good?, The Journal of Developing Areas , Volume 46, No. 1, (Spring 2012).
- Vanaik, Achin, Terrorism: Definition and Ethics(Economic and Political Weekly, Vol. 37,No.40,Oct. 5-11,2002).
- Various Definitions of Terrorism Controversy in Defining Terrorism, available at:
<http://www.azdema.gov/museum/famousbattles/pdf/Terrorism%20Definitions%20072809.pdf>
- John Philip Jenkins(ed.) , Terrorism. Encyclopedia Britannica, November, 2013.(EBSCO Industries, Inc,2014).
- Krieger , Tim and Meierrieks, Daniel , What causes terrorism?, (Springer Science+Business Media, LLC 2010).
- Oberschall, Anthony, Explaining Terrorism: The Contribution of Collective Action Theory, Sociological Theory, Vol. 22, No. 1, Theories of Terrorism: A Symposium (Mar., 2004).
- Sandler, Todd ,Tschirhart John T., and Cauley Jon, A Theoretical Analysis of Transnational Terrorism, The American Political Science Review, Vol. 77, No. 1 (Mar., 1983).
- Schwartz, Daniel M. , Environmental Terrorism: Analyzing the Concept ,Journal of Peace Research , Vol. 35, No. 4. (Jul., 1998).
- Teichman , Jenny , How to Define Terrorism, : Philosophy, Vol. 64, No. 250 (Oct., 1989).
- The Global Terrorism Index ,2012 (The Institute for Economics & Peace), available at:

**The trends of terrorism phenomenon analysis: the development, concept and motivation
"A survey of contemporary literature"**

Ahmed Mohamed Wahban
Associate Professor of Political Science
Faculty of Law and Political Science
King Saud University

(Received 16/11/1435 H ; accepted for publication 18/2/1436 H)

Abstract. This study aimed to explain the most prominent trends in the study of the phenomenon of terrorism in contemporary literature, and the developments that have taken place during the past four decades. This requires explain most of the research work aimed at defining the concept of terrorism, and the parties or entities that are practiced, and the most prominent terrorist phenomenon characteristics, the most important objectives targeted by a terrorist act, and the most important reasons and motives of this phenomenon, as well as the most prominent qualitative transformations experienced by the phenomenon of terrorism through the history of the modern world. The paper contains three sections offer in the folds of the most prominent trends in the analysis of the phenomenon of terrorism in contemporary literature; where deals with the first part, the analysis of the roots of the phenomenon of terrorism and its historical development, and the second focuses on explaining the definition of terrorist phenomenon trends, while the third section involves an analysis of the motives of terrorist phenomenon